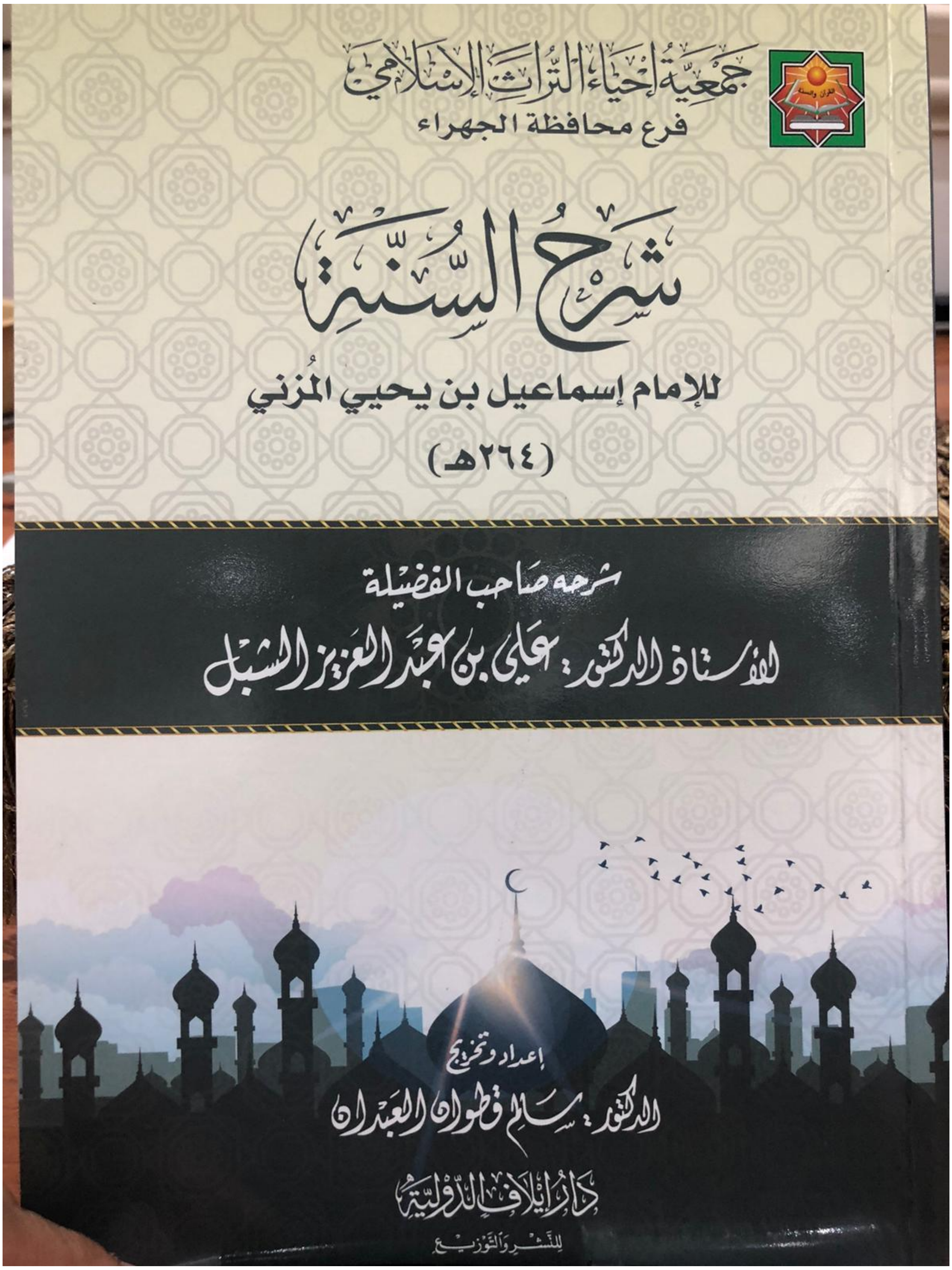

جمعية إحياء التراث الإسلامي
فرع محافظة الجهراء
شرح السنة
للإمام إسماعيل بن يحيي المزني
(٢٦٤هـ)
شرحه صاحب الفضيلة
الأستاذ الدكتور: علي بن عبد العزيز الشبل
إعداد وتخريج
الدكتور: سالم قطوان العبدان
دار إيلاف الدولية
للنشر والتوزيع

شرح السنة للإمام
اسماعيل بن يحيي
المُزني (٢٦٤ هـ)

شرحه صاحب الفضيلة استاذ دكتور :
علي بن عبد العزيز الشبل

إعداد وتخريج : الدكتور : سالم قطوان العبدان

بِسْم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله وحده ، و صَلَّى الله وسلم على من لانبي بعده ، وعلى آلِه وأتباعه وصحبه....

أما بعد :

فهذه تقريرات وجيزة ، في مجالس علمية معقودة ، لمدارسة اعتقاد عالم سلفي متقدم ، من علماء القرون الفاضلة المفضلة ، الممدوحة من نبينامحمد صَلَّى الله عليه وسلم ، ألا وهو الإمام إسماعيل بن يحيى المزني (٢٦٤) وهو تلميذ الإمام المطلبي الموفق محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤). وهو اعتقاد وجيز في لفظه ، جليل في معانيه ، درج فيه مدرج السلف في الاختصار ، والتنويه لما يحتاج إليه ، تنبيها لقلة كلام السلف الصالح بالنسبة لمن بعدهم رحمهم الله وأعزهم .

وهذه المجالس تسبب بها أخوة كرام ، من أصحاب الفضيلة مشايخ وطلاب علم في الكويت العزيزة ، جزاهم ربي خيرا .

حيث سمت همة أخونا صاحب الفضيلة الدكتور سالم بن قطوان العبدان فانتدب إلى إعداد هذه التعليقات ، وتخريجها ومراجعتها فبذل جهدا وصبرا ، أثابه الله عليه ، وأحسن إليه ، وجزاه وإخوانه والمسلمين خير الجزاء وأوفره ،إن ربي لطيف لمايشاء ، إنه هو العليم الخبير .

والحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على الصفوات المهداة ، وآلهم وأتباعهم

بإحسان ومكرمات ،،،،

كتبه فقيرعفوربه الأجل : علي بن عبد العزيز الشبل

في ضحى ١٦/١١/١٤٣٨ بمدينة النبي

الحمدالله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، فعلمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علما وعملا يا عفو ياكريم أما بعد ،،،

أيها الأخوة : فهذه المجالس العلمية المعقودة في مذاكرة هذه العقيدة شرح السنة للإمام : اسماعيل بن يحي ، أبو ابراهيم المصري المُزنى(١٧٥ – ٢٦٤ هـ) وهو تلميذ الإمام أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن إدريس الشافعي المطلبي (١٥٠-٢٠٤ هـ) ، وهذه العقيدة على اختصارها ووجازتها درجت على مادرج عليه العلماء في القرن الثاني والثالث من جميعهم على اعتقاد واحد ، وهي فيها وحدة المذاهب الأربع بالنسبة لأئمتها ومؤسسي مذاهبها وإلى أصحابهم ، وأنه لم يحصل الاختلاف في العقيدة إلا بعدما تطرقت الأهواء والبدع حتى انتسب إلى اتباع هذه المذاهب من خالف أئمتها ومؤسسيها في الاعتقاد ، وإلا فاعتقاد الإمام الشافعي كاعتقاد الإمام أحمد واعتقادهما كاعتقاد مالك وأصحاب أبي حنيفة . وكذا اعتقاد أصحابهم رحم الله الجميع ، وإنما طرأ على بعض الحنابلة التغيير بعد ذلك وكذا على بعض الشافعية وبعض المالكية وبعض الحنفية ، فخالفوا أصول مذاهبهم ، وإن كانوا يُقلدونهم في الفروع وربما تعصبوا لهم .

وهذه المذاكرة في " اعتقاد الشافعي " ؛ لأن أهل السنة والجماعة في جميعهم وحدتهم في الاعتقاد وحدة واحدة وإن حصل اختلاف فهو المذاهب الفرعية ، سواء الفرعية في باب الفقه وهو الأكثر أو الفرعية في المسائل الاجتهادية العقدية ، فنبدأ مستعينين بالله سائليه التوفيق والعون والسداد في مذاكرة هذه العقيدة للإمام المُزني ، والمُزني تعريفا به : هو الذي صحب الإمام الشافعي ونقل عنه مذهبه في مصر ،

فإن الإمام الشافعي له مذهبان : مذهب قديم وهو مذهبه لما كان في العراق ، ومذهب جديد لما انتقل إلى مصر . ولهذا عند الشافعية قولان : قول جديد وقول قديم ، كما أن للحنابلة عن الإمام أحمد روايات وكذا للمالكية بالنسبة للإمام مالك له روايات ، وكذا في الإمام أبي حنيفة مانقله عنه صاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن ، وينضاف إليهما أيضا زُفر وهكذا ، فنبدأ مستعينين بالله :

قال المؤلف رحمه الله :

أخبرنَا الْفَقِيه الإمَام شمس الدّين أَبُو الْعِزّ يُوسُف بن عمر بن أبي نصر الهكاري فِي شهر صفر سنة سِتّ عشرَة وسِتمِائَة قَالَ حَدثنَا الشَّيْخ الإمَام الْحَافِظ الثِّقَة بَقِيَّة السّلف أَبُو إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بن عُثْمَان بن عِيسَى بن درباس الماراني من لَفظه بالموصل فِي تَاسِع عشر من جُمَادَى الأولى سنة إِحْدَى عشرَة وسِتمِائَة ، قَالَ أخبرنَا الشَّيْخ الصَّالح الْعَالم أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد بن حمد بن مفرج بن غياث الأرتاحي بقراءتي عَلَيْهِ بفسطاط مصر قَالَ أخبرنَا الشَّيْخ الْمسند الْعَالم أَبُو الْحسن عَليّ بن الْحُسَيْن بن عمر الْموصِلِي الْفراء فِيمَا أذن فِيهِ لي (ح)
قَالَ الشَّيْخ إِبْرَاهِيم بن عُثْمَان وَأخْبرنَا الشَّيْخ الإمَام الْفَقِيه الْحَافِظ أَبُو طَاهِر أَحْمد بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن سلْفة الْأَصْبَهَانِيّ السلَفِي فِي كِتَابه إِلَيْنَا من الْإسْكَنْدَرِيَّة فِي ربيع الآخر سنة أَربع وَسبعين وَخَمْسمِائة .
قَالَ أخبرنَا الشريف أَبُو مُحَمَّد عبد الْملك بن الْحسن بن بتنة الْأَنْصَارِيّ بِمَكَّة بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ فِي سنة تسع وَتِسْعين وَأَرْبَعمِائَة قَالَا أخبرنَا ابو عبد الله الْحُسَيْن ابْن عَليّ النسوى الْفَقِيه قدم علينا مَكَّة اخبرنى أَبُو مُحَمَّد إِسْمَاعِيل بن رَجَاء ابْن سعيد الْعَسْقَلَانِي بعسقلان أَخْبرنِي أَبُو الْحُسَيْن مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الرَّحْمَن الْمَلْطِي وَأَبُو أَحْمد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحِيم القيسراني قَالَا أخبرنَا أَحْمد بن بكر اليازوري قَالَ حَدثنِي الْحسن بن عَليّ اليازوري الْفَقِيه حَدثنِي عَليّ بن عبد الله الْحلْوانِي قَالَ كنت بطرابلس الْمغرب فَذكرت أَنا وَأَصْحَاب لنا السّنة إِلَى أَن ذكرنَا أَبَا إِبْرَاهِيم الْمُزنِيّ رَحمَه الله فَقَالَ بعض أَصْحَابنَا بَلغنِي أَنه كَانَ يتَكَلَّم فِي الْقُرْآن وَيقف

عِنْده وَذكر آخر أَنه يَقُوله إِلَى ان اجْتمع مَعنا قوم آخَرُونَ فغم النَّاس ذَلِك غما شَدِيدا فكتبنا إِلَيْهِ كتابا نُرِيد أَن نستعلم مِنْهُ يكْتب إِلَيْنَا شرح السّنة فِي الْقدر والإرجاء وَالْقُرْآن والبعث والنشور والموازين وَفِي النّظر فَكتب إِلَيْنَا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدالله رب العالمين ، هذه المقدمة هي اسناد هذه الرسالة شرح السنة للمُزني ، وقد جاءت من طريقين كما ساقها رواتها ، وإذا قال في الإسناد (ح) فمعناها تحويل من سند إلى سند كالتحويلية في الطرقات ، وهذا كثير يصنعه الإمام مسلم كثيرا في الصحيح ، يذكر إسناد ثم يقول (ح) حدثنا ، فهو انتقال من سند إلى سند آخر ، وتحويل من سند إلى سند آخر . ويصنعه أيضا الإمام البخاري في غير موضع من جامعه الصحيح .

هذا الاعتقاد أشهر من رواه عن الإمام المُزني الهكّاري أبو العز يوسف بن عمر الهكّاري ، وقبل ذلك اشتهر اعتقاد منسوب للإمام الشافعي من رواية الهكّاري ، والهكاري هذا غير العالم الشهير أبوالحسن علي بن أحمد (٤٨٦هـ) وفيه لفظان : الهكّاري بالتشديد وهو الأشهر نسبة إلى جبل هكار شمال الموصل ، والهكَاري بتخفيف ، وهو من علماء الموصل شمال العراق ، وفيها انتشر مذهب الشافعي ، حيث فيها الأكراد مذهبهم مذهب الشافعي في الفروع ، فالاعتقاد المنسوب إلى الإمام المُزني هو اعتقاد الشافعي .

يقول راوي هذا الاعتقاد وهو علي بن عبدالله الحلواني ، والحلواني هذا نسبة إلى صناعة الحلوى وبيعها ، قال كنا بطرابس الغرب ، وما طرابس الشرق وطرابس الغرب ؟ فطرابس الشرق : لبنان ، وطرابلس الغرب ليبيا ، دل على أنها كانت من حواضر العلم ، تذاكروا فيها قول المزني وما يتكلم فيه من القرآن ، والقرآن لأنها أول بدعة ابتدعها المنحرفون في مسألة كلام الله ، تناولها المعتزلة [1]

---

[1] – المعتزلة : فرقة كلامية أسسها واصل بن عطاء (٨٠– ١٣١ هـ) ، تقدم العقل على النقل ، وأصولها خمسة عليها مدار معتقدهم وهي ١– التوحيد وضمنوه نفي الصفات ٢– المنزلة بين المنزلتين ٣– انفاذ الوعيد ، وهو خلود العاصي في النار ٤– العدل وضمنوه

والجهمية [1] ، وتناقلها بعدهم أهل الأهواء ، فقال قائل إنه يقف عنده ، أي يقول القرآن كلام الله ويسكت ، وذكر آخر أنه يقول غير ذلك فحصل لهم غمّ واهتمام ، للاضطراب فيما نقل عن الإمام المُزني وهو مَنْ هو عند الشافعية ؟ ! يقول : فكتبنا إليه كتابا نريد أن نستعلم منه ، أي نطلب منه العلم فيما يُنسب إليه . وهذا فيه أن الناس إذا اختلفوا والعالم بين أظهرهم أن يرجعوا إليه ، لا يرجعون إلى غيره يأخذون منه ويصدرون عنه ، وهذا مناط أمر الله بالتبين (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا [2]) ، وأعظم أسباب التبين أن تسأل صاحب الشأن بنفسه ، فإن عجزت عنه لموته أو لبعدك عنه ، تسأل من يستخبر عنه من أصحابه ، فطلبوا منه أن يكتب لهم شرح السنة .

المراد بالسنة :

١-السنة إذا أطلقت في هذا الباب ، باب العقيدة يُراد بها قسيم البدعة ، فالسنة هي الاعتقاد الصحيح يقابلها البدعة وتشمل العقيدة والشريعة .
٢- والسنة عند الفقهاء إذا أطلقت أريد بها المستحب وهي ماأثيب فاعله ولم يعاقب تاركه . ٣- وإذا أطلقت السنة عند الأصوليين أريد بها المصدر الثاني من مصادر التشريع . فإن المصادر أربعة : الكتاب ثم السنة ثم الإجماع ثم القياس الصحيح هذا عند الأصوليين ، ٤- وإذا أطلقت السنة عند المحدثين فضابطها خمسة أمور هي : ماأثر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خَلقي أو خُلقي .

والمراد هنا بالسنة على اصطلاح علماء الاعتقاد المراد بها الشريعة ، المراد بها العقيدة الصحيحة ، المراد بها الإيمان وأصول الإسلام في شرح السنة والقدر ، أي ماجاء في باب الاعتقاد في القدر والإرجاء والبعث

نفي القدر ٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضمنوه الخروج على ولاة الجور إذا قدروا . سمو معتزلة لاعتزال مؤسسها الحسن البصري بعد خلافه حول حكم الفاسق . انظر : الفصل في الملل والنحل ، ٢ / ٩٢ ومابعده

[1] – الجهمية : فرقة تنتسب إلى الجهم بن صفوان المقتول سنة ١٢٨هـ ، ومعتقدهم يتمثل في تعطيل الأسماء والصفات ، وانكار رؤية الله في الآخرة ، والقول بالجبر في القدر ، والإرجاء المحض في الإيمان ، وغيرها من المعتقدات التي خالفوا فيها الوحي والشرع . انظر : الفرق بين الفرق لعبد القادر البغدادي ، ١ / ١٩٩ ومابعده .

[2] – الحجرات : ٦

والنشور والموازين . وفي النظر ذكر جملة المسائل التي وقعت فيها الانحراف والابتداع ، لأن يشرح لهم الاعتقاد الصحيح .

القدر : سيأتي وهو الأصل الخامس من أصول الإيمان ، والإرجاء وهي مسائل الإيمان ، والقرآن وهو أعظم مسائل الصفات في كلام الله . البعث والنشور والموازين لأن المبتدعة ينكرون الموازين يوم القيامة ، وفي النظر : النظر يراد بها أمرين : أَولى النظر المراد به الدليل على إثبات الربوبية ، النظر وهو التفكير ويراد به النظر بالمعنى العام : علم الكلام ، علم الجدل ، القيل والقال الذي يتوصل به أهل الأهواء في الاعتقاد ، فكتب إليهم المُزني هذه الرسالة ، هذه التي نتذاكرها على جهة الإختصار حسب مايتسع له المقام .

بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

عصمنا الله وَإِيَّاكُم بالتقوى ووفقنا وَإِيَّاكُم لموافقة الْهدى أما بعد فَإنَّك أصلحك الله سَأَلتنِي أَن أوضح لَك من السّنة أمرا تصبر نَفسك على التَّمَسُّك بِهِ وتدرأ بِهِ عَنْك شبه الْأَقَاوِيل وزيغ محدثات الضَّالّين وَقد شرحت لَك منهاجا موضحا منيرا لم آل نَفسِي وَإِيَّاك فِيهِ نصحا بدأت فِيهِ بِحَمْد الله ذِي الرشد والتسديد

الْحَمد لله أَحَق من ذكر وَأولى من شكر وَعَلِيهِ أثني الْوَاحِد الصَّمد الَّذِي لَيْسَ لَهُ صَاحِبَة وَلَا ولد جلّ عَن الْمثيل فَلَا شَبيه لَهُ وَلَا عديل السَّمِيع الْبَصِير الْعَلِيم الْخَبِير المنيع الرفيع .

بدأها بسم الله الرحمن الرحيم تأسيا بالكتاب العزيز في جميع سوره خلا براءة واقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم في كتبه التي يكتبها إلى الناس بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى فلان وفي خطبه التي يخطب بها ، فإنه يبدؤها بحمدالله وذكر الله ، وبسم الله ، وأيضا استئناساً بما روى من غير وجه " كل أمر ذي بال لايُبدأ فيه بسم الله " وفي رواية " بالحمدالله " وفي رواية " بذكر الله"

فهو أبتر "، وفي رواية فهو " أقطع وفي راوية " فهو" فهو أجذم "، والحديث مضطرب لكنه يستأنس به لهذه الأصول التي سلف ذكرها [١] .

يقول عصمني الله أو عصمنا الله وإياكم بالتقوى ووفقنا وإياكم لموافقة الهدى ، هذا فيه أن السلف رحمهم الله شديدو الضراعة إلى الله بالدعاء حتى بالمكاتبة يوصي بعضهم بعضا ، ويدعو بعضهم بعضا ، ولم تزل هذه الطريقة السديدة الرشيدة حتى في المكاتبات والمراسلات إلى هذا الزمان حتى في تصانيف المختصرات المراسلات الشيخ المجدد رحمه الله في مراسلاته : أعلم أرشدك الله لطاعته ، أعلم رحمك الله ، وهذا فيه تلطف إلى السائل وفيه انتفاع له .

قال : أما بعد ، وهذه من سنن الكتابة والخطابة الموروثة عن النبي عليه الصلاة والسلام ، كما جاء في الصحيحين [٢] ، وأصلها : أما بعد ذلك ، حذف ذلك وأبدل بدل منها الضمة . أما بعد فإنك أصلحك الله ، وليس من باب أنه فاسد ، لكن من الدعاء بالإصلاح والدعاء بالصلاح . بعض الناس إذا اعتادوا في مجالسهم وفي عرفهم أن يدعون بالصلاح لمن هو شطط عن الحق ، يظن أنها دعوة عليه أو مسبة ، فالذي عند السلف غير هذا المعنى يدعو له بالصلاح ، لأن الصلاح عنوان الفلاح ، " إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ " [٣] . قال سألتني أن أوضح من السنة أمرا تصبر نفسك على التمسك به من السنة بمعنى العقيدة والشريعة . أمرا تصبر نفسك على التمسك به : أي أنك تعتقده اعتقادا ويظهر أثره على قولك وفعلك وتدرأ به عنك شُبه الأقاويل ، يعني إذا استمسكت بهذا الاعتقاد الصحيح فإن منافعه أنه يدرأ عنك هذا العلم الراشد الشبهات بأنواعها ، ومنها شبهات الأقاويل وزيغ محدثات الضالين .

---

[١١] – جمع طرق هذا الحديث ورواياته ، ابن الملقن في البدر المنير ، ٧ / ٥٣٠ ؛ وابن حجر في التلخيص الحبير ، ٢ / ٣٢٢ ، وقال ابن سيد الناس شرح الترمذي : لا يخلو هذا الباب من حسن صريح وصحيح غير صريح ، وقال المنذري : إن الأحاديث في هذا الباب تتعاضد بكثرة طرقها وتكتسب قوة . انظر : فتح الغفار للحسن بن أحمد الرباعي ، ١ / ٨٥ .

[٢] – وهو الكتاب الذي بعثه النبي عليه الصلاة والسلام إلى هرقل عظيم الروم ، رواه البخاري ، رقم (٤٥٥٣) ، ومسلم ، رقم (١٧٧٣)

[٣] – هود : ٨٨ .

فالأقاويل : أقوال الناس التي مبناها على الرأي وعلى محض العقل غير المدلل بالشرع ، وزيغ محدثات الضالين مما أحدث في دين الإسلام مما تُرجم أو مما تشربه بعض المولدين في الإسلام أو بعض الجاهلين مما خالفوا فيه السنن ، وبدّلوا فيه الشرائع وجانبوا فيه الهدى النبوي .

قال : وقد شرحت لك منهاجا موضحا منيرا ، وهل يمدح الإمام المُزني رسالته ؟ لا . لا يمدحها ، وإنما يصفها أنها منهاج فيما سألت عنه . موضح : أي بالقول الصحيح المبني على الأدلة وإن كان أختصره عن الأدلة ، منيرا : أي يُنير لك الطريق ويكشف لك تحريف المحرفين .

لم آل : أي لم اقصر لك فيه نصحا ، لأن الله افترض على المؤمنين النصح ، وفي حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري " الدين النصيحة ، قالها ثلاثا ، قلنا لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم . أخرجه مسلم في الصحيح [١] .وفي حديث جرير بن عبدالله البجلي في الصحيحين [٢] : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ....قال " والنصح لكل مسلم ". وهذا حق المسلمين بعضهم على بعض أن ينصح بعضهم لبعض . أولا لأنفسهم ، فينصح لغيره ما ينصح لنفسه ،

بدأت فيه بحمدالله ذي الرشد والتسديد ، ذي الرشد فإن الرشد ينسب إلى الله تعالى فإنه منه . ولا يُنسب إليه عز وجل عيب ، وإنما يُنسب إليه الكمال . والتسديد : أي أطلب منه أن يرشدني وإياك إلى سديد ما يعتقد ، وبدأ فيه بحمدالله كما سبق تأسياً بالكتاب العزيز وبالسنة وبخطب النبي عليه السلام ، ثم قال : الحمدالله أحق من ذكر ، حمدالله والثناء عليه باب عظيم وهو أيضا باب واسع ، وليس مقصورا فقط على خطبة الحاجة التي رواها جمع من الصحابة ، منهم ابن عباس وجابر ، وأشهر رواياتها عن ابن مسعود رضي الله عنهم ، فإن خطبة الحاجة لها صيغ

---

[١] – رواه مسلم ، رقم (٩٥ / ٥٥) .

[٢] – رواه البخاري ، رقم (٥٧) ؛ ومسلم ، رقم (٥٦) .

عديدة منها خطبة ابن مسعود [١] : " إن الحمدالله نحمده ونستعينه " ، ومنها : الحمدالله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ومنها عموم حمدالله كما درج عليه السلف ، فإن خطب الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم ورسائلهم ، تبدأ بحمدالله لعموم ما جاء من الأدلة من أن النبي عليه الصلاة والسلام رقى المنبر أو قام فيهم " فحمدالله وأثنى عليه " [٢]ولم يذكروا صيغة محددة ، وإن كانت جاءت صيغة حديث ابن مسعود . ولهذا في الشفاعة العظمى [٣] يوم القيامة أن النبي عليه الصلاة والسلام إذا انتدب لها ذهب فخرّ تحت العرش فسجد ، قال فيفتح الله عليّ أنواع المحامد ، أي من حمده والثناء عليه لم يكن فتحها عليّ من قبل ، دل على أن باب حمدالله ، باب واسع ضابطه أن نحمده بما هو أهله وتثني عليه بما يليق به لا أن تنتقصه ، فمثلا لو قال الإنسان الحمدالله الذي لا تراه العيون فهذا غلط ، هذا نقص . الصحيح أن يقال الحمدالله الذي لا تراه في الدنيا العيون وإلا في الآخرة فإنه سيراه من ؟ ستراه عيون الموحدين .

إذا يكون حمدالله بماذا ؟ بما هو أهله هذا الضابط فيها . بعض أخواننا يظن أن من السلفية التي لا يجوز الخروج عليها أن يقتصر حمدالله على حديث ابن مسعود ، إن الحمدالله نحمده ونستعينه ، فقط فإن حمدالله سوى ذلك سواء في الخطبة أو في المواعظ أو في الدروس أنه جانب السنّة ، وهذا غلط ناشئ من ضعف فقهه بالسنة وفهمه لما درج عليه سلفنا ، ويذكر أحد هؤلاء ممن نقص علمه يعيب على الشيخ محمد عبد الوهاب في خطبه التي طُبعت في جزء مستقل ، قال : والشيخ خالف السنة في ديباجة خطبه أنه يقول : الحمدالله العلي الأعظم .. ، الحمدالله الذي جعل الموت راحة لعباده الأبرار ، ولم يأت بحديث بن مسعود ، ظن هذا أن هذا خالف السنة ، وهذا غلط منه ناشئ عن قلة العلم وضعف الفقه ،

---

[١] – رواه أبو داود ، رقم (٢١١٨) ، والترمذي ، رقم (١١٠٥) ، والنسائي ، رقم (٣٢٧٧) ، وابن ماجة ، رقم (١٨٩٢) . قال ابن حجر في البلوغ ، (١ / ٢٠٢) : وحسنه الترمذي والحاكم .

[٢] – ورد من روايات عدة وبألفاظ مختلفة منها : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ (اسم للفضاء الواسع) فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ الله وَأَثْنى عَلَيْهِ وَقَالَ: «إِن الله عز وَجل حييّ حييّ ستير يحب الْحيَاء والستر فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ» رواه أبوداود ، رقم (٤٠١٢) ، والنسائي ، رقم (٤٠٦) . وحسنه الألباني في تحقيقة لمشكاة المصابيح ، رقم (٤٤٧) .

[٣] – البخاري ، رقم (٤٧١٢) ، ومسلم ، رقم (١٩٤) .

فهنا هل يقال أن المُزني خالف السنة ! هل يقال : إن أبابكر وعمر رضي الله عنهم في خطبهم خالفوا السنة ! أبدا لا يُقال ذلك ! وإنما أثنوا على الله ،ومن جملة الثناء على الله ماجاء في حديث بن مسعود ، وحديث ابن مسعود ليس هو القاصر فقط في حمدالله والثناء عليه ، وإنما هو صيغةٌ من هذه الصيغ ، بل أشهرها ، ولهذا جاء التنصيص عليه

في خطبة الحاجة فيه بين يدي خطبة النكاح ، ويستحب أن يسبقها بخطبة ابن مسعود .

(الحمدالله أحق من ذُكر) : يعني أحق من ذُكر بالثناء والمدح والعبادة أولى من شُكر ، أعظم وأولى من يشكر المولى بهذه النعم وهو الله ، وعليه أثنى الواحد الصمد الذي ليس له صاحبة ولا ولد ، وهذا فيه اضطراد .

باب : الخبر أوسع من باب الوصف والتسمي

فإن الله جل وعلى يُخبر عنه ويطلق عليه كل معنى صحيح ، بشرط أن يكون المعنى صحيحاً لا سيما إذا كان مستمدا من الأدلة ، وأعظم ذلك وأصله ما وصف الله به ماوصف به نفسه ووصفه به رسوله – صلى الله عليه وسلم – والعلماء يفرقون بين باب الوصف والتسمي ، وباب الخبر والإطلاق ، فأيهما أوسع ؟ إن الخبر والإطلاق أوسع من باب الوصف والتسمي ، فباب الوصف والتسمي متوقف على ثبوت الدليل لا نسمي ولا نصفه إلا بما ثبت به الدليل ، أما باب الخبر والإطلاق فأوسع منه فيخبر عنه الله ويطلق عليه كل معنى صحيح ، وإن لم يُسمى به قال الله جل وعلى في أول سورة الأنعام " قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ "[١] فيخبر عن الله بأنه شي ويخبر عن الله بأنه موجود ويخبر عن الله بأنه شخص ، كما جاء في الصحيحين " لا شي أغير من الله [٢] " ؛ لكن لا يسمي الله بالشئ ، ولا يُقال ياشئ أغفر لي ولا تسمي ابنك عبد الشئ ، ولا يقال ياموجود ارحمني ، فبعض الناس يسمي ابنه عبد الموجود ، وليس الموجود

---

[١] – الأنعام : ١٩ .

[٢] – البخاري ، رقم (٥٢٢٢) ؛ ومسلم رقم (٢٧٦٢) .

من أسماء الله ، وليس الشخص من أسماء الله ، لكن باب الخبر أوسع ، وضابطه : أن يخبر عن الله بكل معنى صحيح ، هنا يقول الإمام المزني الواحد الصمد ، هذا استمداد واقتباس من سورة الإخلاص الذي ليس صاحبة ولا ولد ، اقتباس من آية الإخلاص وأخير آية الإسراء ، وقل الحمدالله الذي لم يتخذ ولد ولم يكن له صاحبة ، جل عن المثيل كما في قوله جل وعلى في الشورى " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ "[1] " لا شبيه له الذي جاء في الآية " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" هنا نفى الشبيه ؛ لأن المعنى متقارب في باب الخبر . ولا عديل ، أي لامعادل ، والعديل هو الند والنظير والمساوي .والمكافئ السميع البصير العليم الخبير المنيع الرفيع ، السميع من أسماء الله ، والبصير كذلك ، والعليم والخبير والرفيع ، اختلفوا في المنيع هل هو من أسماء الله فالصحيح إنه من باب الخبر . أما اسم الله فهو المانع المعطي .

الْعُلُوّ

١ – عَال على عَرْشه فِي مجده بِذَاتِهِ ، وَهُوَ دَان بِعِلْمِهِ من خلقه ، أحَاط علمه بالأمور ، وأنفذ فِي خلقه سَابق الْمَقْدُور ، وَهُوَ الْجواد الغفور {يعلم خَائِنَة الْأَعْين وَمَا تخفي الصُّدُور[2] }

لماذا بدأ المزني – رحمه الله – بالعلو ؟! وكثيراً ما يبدون في تصانيفهم بالعلو ؛ لأنه من جلائل مسائل الصفات التي وقع فيها الانحراف ، فإن أعظم ما وقع فيه الانحراف من مسائل الصفات ثلاثة ما هي ؟ ١– علو الله على خلقه ٢– وكلامه ٣– واستواءه ، هذه المسائل الثلاث أعظم ما وقع فيها الانحراف عن جادة أهل السنة وجادة المسلمين ، نعم وقع انحراف في غيرها لكن هذه الثلاث أشهر ما وقع فيها الانحراف ، وعلو الله على خلقه من صفات الله الذاتية . ولهذا تُختبر المؤلفات والتفاسير في هذه الصفات الثلاث حيث يتبيّن منهج مؤلفها من خلالها .

---

[1] الشورى : ١١ .

[2] – غافر : ١٩ .

أنواع الصفات :

والعلماء يقولون صفات الله باعتبار تعلقها نوعان : ١- صفات ذاتية وهي المتعلقة به أزلاً وابداً لا تنفك عنه أبداً بحال من الأحوال ، مثل العلو لله في كل وقت عال و الحياة ، والكلام ، و العلم و السمع والبصر ، فالله متصف بها أزلاً وأبداً ، ٢- النوع الثاني من الصفات باعتبار التعلق من الصفات الفعلية وهي الصفات التي يفعلها سبحانه إذا شاء كيف شاء متى شاء كالاستواء لله ، حيث لم يستوي على عرشه إلا بعدما خلق سبع سمواته وأرضه ، وكالغضب فليس الله في كل وقت غاضباً ، وكالرضا وكالمجيء ، هذه صفات يفعلها إذا شاء ولهذا قال لها الصفات الفعلية .

العلو يقول فيه المزني عال على عرشه لماذا لم يقل عال على خلقه ؟ لأن أعلى المخلوقات المستوعب لها هو العرش والله عال على العرش ، وبالتالي عالٍ على جميع خلقه ، إذ ليس فوق العرش من المخلوقات شيء إلا ما جعله الله عنده كما يجعل النبي عليه الصلاة والسلام عنده إذا شاء . فقال عالٍ على عرشه في مجده بذاته.

أقسام العلو :

العلماء يقسمون العلو إلى ثلاث أقسام [١] :

١-علو القهر والغلبة، وهذا مجمع عليه بين المؤمنين بالله رباً فلا أحد يقهر الله ولا أحد يغلبه ، ٢- النوع الثاني علو القدر والمنزلة هذا أيضاً متفق عليه فالله جل وعلى لا أحد أعلى منه قدراً ،٣- الثالث علو بذاته فذاته فوق عرشه فوق جميع خلقه ، وهذه التي وقع فيها النزاع والشقاق بين أهل السنة ومخالفيهم .

أول من عطل العلو في المسلمين :

---

[١] - ينظر كتب : العلو للعلي الغفار للذهبي ، واثبات صفة العلو لابن قدامة ، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم رحمهم الله جميعا

وأول من عُرف عنه الزيغ عن هذه العقيدة عقيدة العلو : الجعد بن درهم [1] الذي تلقف عنه مقالته الجهم بن صفوان السمرقندي فقالت الجهمية إن الله في كل مكان، وهذا أساس مذهب الحلولية. لئلا يقولوا إن الله عالٍ على الخلق ، وتبعهم على ذلك المتكلمون ومنهم الأشاعرة والماتريدية ، فقالوا إن الله في كل مكان ، وهذا في الواقع أساس اعتقاد وحدة الوجود والاتحاد والحلول.

أما فلاسفة الأشاعرة والمتكلمين والمعتزلة فجاءوا بالممتنع عقلاً فقالوا إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا فوق ولا تحت ، ولا مماس ولا محايد فسلبوا عنه الكمال. وأهل السنة متفقون على علو الله بذاته على خلقه ، يقول ابن القيم : فقد دلت على ذلك أكثر من ألف دليل في القرآن وأكثر من ستة آلاف في السنة [2]، من براعة ابن القيم أنه ألف فيها مؤلفاً مستقلاً في مسألة العلو : وهو " اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية "، هذا في إثبات العلو ، وفي النونية رحمه الله لخص مجموع الأدلة الدالة على علو الله في الكتاب والسنة إلى واحد وعشرين نوعاً من أنواع الأدلة التي دلت على العلو .

يقول الإمام المزني : وهو دان بعلمه ، الله لما كان عال على خلقه كما جاءت به الأدلة الكثيرة ، ومع هذا دانٍ أي قريبٌ من خلقه [3] هو معنى قول الله جل وعلا في أول سورة الحديد " هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ [4] ". الأول والآخر – الظاهر – العال حيث فسرها النبي صلى الله عليه وسلم الذي ليس فوقه شيء [5] والباطن

---

[1] – الجعد بن درهم ، ولد في خراسان ، وهاجر إلى دمشق ، نفى صفات الله تعالى ، وهو أول من قال بخلق القرآن ، وهو مؤسس مذهب التعطيل لدى المسلمين وعنه نقله الجهم بن صفوان السمرقندي ونشره ، ثم نسب إليه . صلبه خالد القسري والي الكوفة سنة مائة وعشرين من الهجرة . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٦ / ١٥١ .

[2] – إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ٢ / ٢١٧ .

[3] – اجتماع الجيوش الإسلامية ، ٢ / ١٦٦ .

[4] – الحديد : ٣ .

[5] – رواه مسلم ، رقم (٢٧١٣) ، من حديث أبي هريرة : " «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ "

الداني القريب الذي ليس دونه شيء فهو مع علوه بذاته قريب مع خلقه بماذا ؟ بعلمه أحاط بعلمه من خلقه وهذا مجمع عليه عند أهل السنة أن دنو الله وأنّ إحاطته بخلقه ليست بذاته وإنما بعلمه ولهذا في سورة المجادلة (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [١]) إلى قوله وهو بكل شيء عليم. فقد بدأ الآية بالعلم وختمها بالعلم ، مع أنه يعلم النجوى ما يكون من ثلاثة إلا هو رابعهم ، دل على أن معية الله بخلقه بعلمه .

أنواع المعية :

هذا وأهل السنة والجماعة على مقتضى أدلة معية الله سبحانه وتعالى ، الدالة على هذه الصفة في الكتاب والسنة ، وهذا مجمع عليه بين أهل السنة. ويفرقون بين نوعي المعية: ١- معية عامة لجميع الخلق ، وهي بعلمه الذي أحاط بكل شي ٢- ومعية خاصة وهي لأولياء الله ، وهي مع العلم تقتضي نصراً وتأييداً وإحاطة فلا ينفذ إليهم إلا ما أراده لهم ، أحاط علمه بالأمور كما قال جل وعلا (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... إلى قوله .. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ [٢]) وقوله (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا [٣]) ولهذا معنى أحاط علمه بالأمور معناه أنه لا يمكن أن ينفذ أو يكون في خلقه إلا ما يعلمه ، في آية الحج (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [٤]) فلا يمكن أن يكون في علم الله إلا ما علمه ، وهذا ما قاله الإمام المزني والإمام الشافعي في شأن القدرية : " ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خُصموا وإن جحدوه كفروا ". ومعناه هل الله يعلم الأشياء قبل وقوعها أم لا يعلمها ؟! فإن قالوا لا

---

[١] – المجادلة : ٧ .

[٢] – البقرة : ٢٥٥ .

[٣] – طه : ١١٠ .

[٤] – الحج : ٧٠ .

يعلم نسبوا الله إلى الجهل ! والكناني عبدالعزيز [1] لما ناظر بشر المريسي [2] قال : ما تقول يا بشر : الله يعلم أم لا يعلم ؟ قال أقول إن الله لا يجهل . قال الكناني : حاد يا أمير المؤمنين أسأله عن شيء وأجاب بغيره . قال المأمون لبشر حدت عن الجواب . لأنه لو قال أن الله يعلم أثبت أن لله علماً وهذا يناقض مذهب الجهمية والمعتزلة .

وأنفذ في خلقه أي : مضى فيهم كل قدر قدره عليهم بما سبق به علمه وجرى به كتابته ولهذا جمع الله هاتين المرتبتين في آية واحدة (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [3]) وقال في مدح نفسه (وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا [4]) فعلم الله محيط أي مستوعب مستغرق لكل شيء يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور أي ما تُكنّه من خيراً وشر من صالح أو فاسد الله يعلمها سبحانه وتعالى علما محيطا به .

القَضَاء وَالْقدر

٢ – فالخلق عاملون بسابق علمه ، ونافذون لما خلقهمْ لَهُ من خير وَشر لَا يملكُونَ لأَنْفُسِهِمْ من الطَّاعَة نفعا وَلَا يجدونَ إِلَى صرف الْمعْصِيَة عَنْهَا دفعا .

الخلق عاملون بسابق علمه سبحانه وتعالى ، أي ما يعملون به من خير أو شر من أمر ديني أو دنيوي فإنه سبق به علم الله وسبق به قدره جل وعلا قبل خلقهم كما جاء في الحديث: " إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال:

---

[1] – عبدالعزيز بن يحيي الكناني ، من تلاميذ الشافعي ، وأشتهر بصحبته ، قدم بغداد في أيام المأمون ، فجرت مناقشة بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن الكريم بين يدي المأمون ، وأفحمه وأخرسه ، وهي المسماة بالحيدة ، توفي سنة ٢٤٠ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ، ٦ / ٣٦٣ .

[2] – هو بشر بن غياث المريسي ، المتكلم شيخ المعتزلة ، وأحد من أضل المأمون ، قال ابن خلكان : جدد القول بخلق القرآن وحكي عنه أقوال شنيعة ... ، توفي سنة ٢١٨ هـ . انظر البداية والنهاية لابن كثير ، ١٠ / ٣٠٨ .

[3] – الحج : ٧٠ .

[4] – الطلاق : ١٢ .

اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد [1]". يعني استوعب به علم الله قبل خلق خلقه، وهذا لكمال علمه وكمال قدرته أنه علم ما يعلمه الخلق قبل أن يعملوه ، وقبل خلقهم **ونافذون** أي عاملون لما خلقه لهم من **خير أو شر** ، فخير اسم جنس ، وأعظم الخير التوحيد يليه فرائض الله وأعظم الشر الشرك يليه منهيات الله لا يملكون لأنفسهم من الطاعة نفعاً.

ولا يجدون إلى صرف المعصية عنها دفعا. لا يملك لنفسه في الطاعة نفعاً ولا يجدون إلى صرف المعصية عنها دفعاً. لا يملك لنفسه في الطاعة نفعاً إلا ما قدره الله له . لا تظن أنك ستحدث عملاً لم يسبق به علم الله ولا تقديره ولا يمكن أن تخرج بحال من الأحوال عن معصية كتبها الله عليك ألا تفعلها ، وهذا إشارة إلى القدر . فإن القدر أجمع أهل السنة على أنّ مراتبه أربعة.

شيخ الإسلام ابن تيمية في الواسطية [2] قسمها تقسيماً بديعاً قال: القدر له مرتبتان لكل مرتبة درجتان :

١- المرتبة الأولى : علم الله السابق بكل شيء قبل وقوعه مع كتابته في اللوح المحفوظ هذه مرتبة لها درجتان.
٢- المرتبة الثانية : أن كل شيء مقدر فقد شاءه الله وأراده وما شاءه الله فقد خلقه. قسمت إلى مرتبتين فصح مجموعها أربع مرات ؛ لأن النزاع وقع في المرتبتين فأشهر من عرف عنه الانحراف في القدر ، القدرية المعتزلة لهم مذهبان غلاتهم نفوا جميع المراتب أما عامتهم وجمهورهم فنفوا المرتبة الثالثة والرابعة : مرتبة الإرادة والخلق وأثبتوا العلم والتقدير ، وهؤلاء الذي قال فيهم الإمام الشافعي : " ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خُصموا وإن أنكروه كفروا " ، وهؤلاء أول من ظهر من منكري القدر ، وهي من أوائل البدع.

[1] – رواه أبوداود ، رقم (٤٧٠٠) ؛ والترمذي ، رقم (٢١٥٥) . وصححه الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم (١٣٣) .
[2] – العقيدة الواسطية ، ١ / ١٠٧ .

فلو قيل لك ما هي أول بدعة ظهرت في تاريخ المسلمين ؟ الخوارج، النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنهم لا يزالون يخرجون في كل قرن إلى أن يخرج آخرهم فيتبع الدجال [1].

أول بدعة ظهرت في تاريخ المسلمين الخوارج يليها الرفض يليها القدر ، فقد ظهر القدر في أواخر عهد الصحابة في عهد ابن عمر رضي الله عنهم وفيها الحديث المخرج في مسلم " انطلق حميد بن عبدالرحمن ويحيى بن يعمر قال لو لقينا أحد من أصحاب النبي بالمدينة فلقينا بن عمر إمّا أنه ذاهب للمسجد أو غاد منه فاكتنفته أنا وصاحبي أنا عن يمينه وصاحبي عن يساره فظننت أنّ صاحبي سيكل الكلام إليَّ يقول : يا أبا عبدالرحمن إنه ظهر قِبَلَنَا قوم في البصرة يقولون إن الأمر أُنف وإنه لا قدر إنّ الأمر أُنف لم يسبق به علم ولا إرادة ولا مشيئة ولا خلق وإنه لا قدر . هؤلاء نفاة المراتب الأربعة ، إذاً أول من ظهر من القدرية من نفوا المراتب الأربعة . فقال ابن عمر رضي الله عنهما : إذا أدركتم هؤلاء فأخبروهم أنَّي منهم بريء ، وَأَنَّهُمْ مِنِّي بُرَآءُ ، فإنه حدثني أبي قال بينما نحن جلوس عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ساق الحديث المشهور عن جبريل [2] ... الإمام المزني هنا أشار إلى مسألة. الخلق عاملون بسابق علمه ، إذا كانت مراتب القدر الأربع ١- العلم ٢- والكتابة ٣- والمشيئة والإرادة كما سيأتي ، ٤- والخلق إذا العباد أعمالهم مجبرون عليها أم مخيرون فيها ؟ أنت مخير فيها باعتبار الإرادة والتعلق أنت مخير إن شئت صليت وإن شئت لم تصل إن شئت آمنت وإن شئت كفرت ، وإن شئت شربت الخمر وإن شئت لم تشرب ، لكن باعتبار أنها متعلقة بقدر الله لن تستطيع أن تعمل عملاً لم يسبق به علم الله .

هل الجزاء يوم القيامة على العمل أو على القدر ؟

[1] – رواه ابن ماجه ، رقم (١٧٤) ، وصحح إسناده البوصيري ، وقال : احتج البخاري بجميع رواته . انظر : مصباح الزجاجة ، ١/ ٢٦ .

[2] – رواه مسلم ، رقم (٨) .

هنا يأتي السؤال الجوهري الذي إذا عرفت الجواب عليه انحلّ عند كل إشكال يتعلق بالقدر ما السؤال ؟ هل الثواب والعقاب يوم القيامة هل هو واقع على قدر الله الذي مضى أم على ما تختار أيها المكلف بنفسك ؟ قطعاً الثاني فالثواب والعقاب لا على ما سبق به القدر ، وإنما على ما تختاره بنفسك وهذا مناط التكليف ، ودليل ذلك أدلة كثيرة مما يناسب هذا المقام ، فمنها : ١- النظرة الأولى للحرام من غير إرادة ؟ لا ثواب ولا عقاب ، لكن استمرار النظرة لما كان فيها إرادة استوجبت الثواب والعقاب .
٢- المنام رؤيا الإنسان في منامه أنه يطأ أمه ويُنزل هل عليه حرج ؟ لا ، لأنه ليس باختياره ولا بإرادته ، ولو وطأها في الشاهد لكان هذا من أعظم الكبائر بعد الشرك بالله. ٣- أيضا المرتعش حركته كثيرة أم قليلة ؟ كثيرة هل تبطل بها صلاته ؟ مع إجماع العلماء أن الحركات الكثيرة تبطل الصلاة لكن لما كانت بغير إرادة فلا ثواب عليها ولا عقاب .

إذاً فالثواب في الجنة والعقاب في النار لا يقع على ما سبق به القدر وإنما على ما يختاره المكلف بنفسه .

ودليل ذلك أيضاً أن البهائم يحصل بينها المظالمة فهل تحاسب على المظالمة يوم القيامة؟ ! يوم القيامة تكون تراباً منثوراً لأنها غير مكلفة. الذي وقعت له هذا سبق علم الله وكتابته وإرادته وخلقه ؟ نعم لكن لم يحصل عليه الثواب والعقاب. هذا السؤال الجوهري الحقيقي إذا فهمه طالب العلم أنا أجزم أنّ كل إشكال يرد عليه في القدر يجد الحل عنده أعيدها مرة أخرى. الثواب والعقاب. الجنة والنار لا تتعلق بما سبق به علم الله وتقديره وإنما هو متعلق بما يختاره المكلف لنفسه (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُر [1]) ، (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ [2]) ومن كمال علم الله وإحاطته أنّه لا يمكن أن يفعل الفاعل فعلاً ويختار اختياراً إلا وقد سبق به علم الله وكتابته وتقديره ومشيئته في خلقه هذا من كمال علم الله فأنت على كل الأحوال لن تخرج عن قدر الله.

---

[1] - الكهف : ٢٩ .

[2] - التكوير : ٢٨ .

٣ – خلق الْخلق بمشيئته عَن غير حَاجَة كَانَت بِهِ فخلق الْمَلَائِكَة جَمِيعًا لطاعته وجبلهم على عِبَادَته فَمنهمْ مَلَائِكَة بقدرته للعرش حاملون وَطَائِفَة مِنْهُم حول عَرْشه يسبحون ، وَآخَرُونَ بِحَمْدِهِ يقدسون وَاصْطفى مِنْهُم رسلًا إِلَى رسله وَبَعض مدبرون لأَمره .

هنا أكثر رحمه الله عن الإيمان بالقدر الإيمان بالملائكة وهذا في تصنيف الأوائل أنه بحسب الحاجة. سواء في باب الاعتقاد أو باب الفقه في باب الإيمان بالملائكة فالأوائل يدمجون شيئاً في شيء ؛ لأنهم ما احتاجوا لهذا ، وهذا من أساليب التصنيف التي تستدعيها الحاجات لا أنها ابتداع لطريقة العلماء أو طريقة الأوائل، حاشا وكلا ، وإنما هذا التنويع في التصنيف كمثل ما يقال في المختصرات والمطولات أنها من وسائل حفظ ما جاء العلم به ، يقول رحمه الله : خلق الخلق بمشيئة أي بإرادته إنما أمره حفظ ما جاء العلم به ، يقول رحمه الله خلق الخلق بمشيئته أي بإرادته إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. وما تشاءون إلا ان يشاء الله. من غير حاجة هل خلق الخالق لخلقه من حاجة الخالق إليهم ؟ الجواب لا . ما الدليل ؟ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ [١]) أي محتاجون إليه. وهو مستغنٍ عنكم. إذا خلق الخلق ليس من حاجته إليهم لم ؟ لأن الله جل وعلا لا يحتاج إلى خلقه وخلقه يحتاجون إليه ، ودلائل هذا كثيرة ، ومنها اختصاراً حديث أبي ذر رضي الله عنه في مسلم الحديث القدسي العظيم الشريف : (يا عبادي إنّي حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا إلى أن قال عليه الصلاة والسلام : ياعبادي لو أن أولكم وآخركم و أنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك في ملكي شيئاً .. . إذا لا يحتاج الله ولا ينتفع الله عز وجل بطاعة الطائع ولا بطاعة جميع خلقه. يا عبادي لو أن أولكم آخركم وإنسكم

---

[١] – فاطر : ١٥ .

وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم – يعني كانوا على فجور . أفجر خلق الله. ما نقص ذلك من ملكي شيئاً وجاء في الرواية : إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل في البحر [1]". فالمخيط إذا غمس في البحر ينقص؟ لا ينقص من البحر شيء. فهذا التمثيل من باب الاستبعاد ، وإذا الله لا ينفعه عباده العابدين ولا تضره معصية العاصين إذ ليس محتاجاً إليهم والخلق هم المحتاجون إلى الله. من أعظم الخلق ؟ أعظم الخلق فيما نعرف العرش والملائكة فإن الملائكة أعظم خلق الله عز وجل مما نعرف . فلهذا عطف عليهم بالذكر هاهنا والإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان الستة ، وأصل الملائكة من الألوكة – وهي الرسالة. (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ [2]) .

مراتب الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة لمن تأمل يتضمن أربعة أمور : الأول : الإيمان بوجودهم فكيف تؤمن بشيء غير موجود .

ثانياً : الإيمان بعظم خلقهم عظم خلقهم خلقاً وعظم خلقهم عدداً .

ثالثاً : الإيمان بوظائفهم وأعمالهم .

أشهر الملائكة :

هذا وقد جاءت الأدلة بأعيان أشهر الملائكة ولأعمالهم ، وهم :

(١) – جبريل وهو سيد الملائكة ، وهو الموكل بوحي الله عز وجل .

(٢) – اسرافيل ، وهو الموكل بالنفخ بالصور .

(٣) – ميكائيل ، وهو الموكل بالقطر والمطر .

(٤) – ملك الموت ، وهو الموكل بقبض الأرواح .

(٥) – مالك ، وهو خازن جهنم .

---

[1]– رواه مسلم ، رقم (٢٥٧٧) .

[2] – فاطر : ١ .

(٦) – رضوان ، وهو خازن الجنة ، عليهم الصلاة والسلام .

، كما نبه إليها المزني هاهنا. إن الله جعل لهم وظائف وأعمال .

رابعاً :الإيمان بفضلهم ومكانتهم فإن الله رفعهم وقربهم ووصفهم بالعبودية والكرامة بل عباد مكرمون . هذه الأربعة تقتضي الإيمان بالملائكة .

المنحرفون بالملائكة :

وقد انحرف في الإيمان بالملائكة طوائف : ١– أولهم الفلاسفة الذين قالوا إن الملائكة خيالات يعني غير موجودة ما صدّقوا بوجودهم. ممن انحرف بالملائكة

٢–المشركون قالوا إن الملائكة إناثاً فنسبوهم بناتاً لله .

٣– اليهود الذين أبغضوا جبريل وميكائيل وإسرائيل. (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ [١]).

٤–وكذلك الرافضة فإنهم انحرفوا في الملائكة فإنهم على طريقة اليهود لما اعتقدوا في غلاتهم أن جبريل خان الأمانة ، إذ لكل قومٍ وارث تختلف المسميات وتتحد العقائد .

هذا الإيمان بالملائكة من أشار إليه المصنف وقد أشار إلى جملة منهم فمنهم حملة العرش. (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ [٢]) ومنهم المُسبحة بحمد الله كل الملائكة هذا تسبيحهم. والملائكة عليهم السلام كثيرون في عددهم. " أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك يصلي وملك يسبح وملك يسجد [٣] " وفي هذا عموم قول الله جل وعلا (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ [٤]) والأدلة على كثرتهم كثيرة ، واصطفى منهم رسلاً على رسله ما معناها ؟ ما معنى رسلاً إلى رسله يشير بذلك إلى جبريل وهو سيدهم وأيضاً قد يرسل

---

[١] – البقرة : ٩٨ .

[٢] – الحاقة : ١٧ .

[٣] – رواه الترمذي ، رقم ٢٢١٣ ؛ وابن ماجة ، رقم ، (٤١٩٠) ؛ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ، ووافقه الذهبي في التلخيص. انظر : المستدرك على الصحيحين ، رقم (٨٦٣٣) .

[٤] – المدثر : ٣١ .

غير جبريل كما أرسل إسرافيل إلى سليمان ليقبض روح أحد بني آدم . فمن الملائكة من هم رسل إلى رسل الله عليهم الصلاة والسلام. إذاً بين الرسول وبين الله واسطة في التبليغ وهم الملائكة وسيدهم جبرائيل .

آدم عَلَيْهِ السَّلَام

٤ – ثمَّ خلق آدم بِيَدِهِ وَأَسْكَنَهُ جنته ، وَقبل ذَلِك للْأَرْض خلقه ، وَنَهَاهُ عَن شَجَرَة قد نفذ قَضَاؤُهُ عَلَيْهِ بأكلها ، ثمَّ ابتلاه بِمَا نَهَاهُ عَنهُ مِنْهَا ثمَّ ، سلط عَلَيْهِ عدوه فأغواه عَلَيْهَا ، وَجعل أكله لَهَا إِلَى الأَرْض سَببا فَمَا وجد إِلَى ترك أكلهَا سَبِيلا وَلَا عَنهُ لَهَا مذهبا .

وهذا تقرير للإيمان بالقضاء والقدر ، وللأيمان بالصفات لله عز وجل ، دلالة على لا لعلاقة لها بالقدر ولها علاقة بالصفات ، علاقتها بالقدر لن تخرج عن قدر الله بحال ومن الخلق ما هو أعظم منك . وعلاقتها الصفات كما في قوله ثم خلق آدم بيده فأثبت لله يداً هي صفة من صفاته بها خلق آدم وهذا كما جاء في الحديث الصحيح أن الله خلق آدم بيده وغرس الجنة كرامةً لأوليائه بيده وكتب الألواح لموسى بيده [١] " فهذه الثلاث باشرتها يد الله عز وجل. خلق آدم بيده وهذا تشريف لآدم وتشريف لذريته وغرس الجنة كرامة لأوليائه بيده ، نسأل الله أن يجعلنا منهم وكتب الألواح لموسى بيده.

وقبل ذلك خلق الأرض قبل آدم ويجوز على الضمير قبل ذلك للأرض خلقه أي أن خلَق خلْق آدم لينزله للأرض وينيل ذريته ليجعل البلاء في الدنيا بهذا ثم الثواب يوم القيامة لمن يطيع فيكون هذا سابق لعلم الله .

---

[١] – لم أجده بهذا اللفظ ، وإنما رواه البيهقي في الأسماء والصفات ، رقم (٦٩١) والحاكم في مستدركه ، رقم (٣٤٨٠) مرفوعا : " خلق الله جنة عدن ، وغرس أشجارها بيده ، فقال لها : تكلمي . فقالت : قد أفلح المؤمنون " وضعفه الذهبي في التلخيص ، رقم (٣٤٨٠) ، والألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ، رقم (١٢٨٣) ، وورد موقوفا على كعب قال : إن الله تعالى خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده ، وغرس الجنة بيده ، ثم قال لها تكلمي ، فقالت : قد أفلح المؤمنين .. " رواه ابن المبارك ، الزهد والرقائق ، ١ / ٥١٢ .

الشجرة التي نُهي آدم عن أكلها :

الله خلق آدم في الجنة ومع ذلك أنزله إلى الأرض ويمكن أن يكون معناها أن الله خلق آدم من طينة الأرض وجعله في الجنة ونهاه عن شجرة ما هي الشجرة ؟ في كتب بني إسرائيل التفاح. ولا نصدق ولا نكذب ، حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج وهي شجرة نُهي عن أكلها ، ولو كان في تعيينها مصلحة لنبئُنا عنها وليس كل معلومة تنفع صاحبها ، لو قال قائل ما اسم زوجة إبليس لقيل هذا عرس ما حضرناه! فما يفيدنا ، إذاً العلم الذي يفيدنا أتانا الله منه علماً.

نهاه الله عن أكل شجرة فنفذ قضاؤه عليه بأكله ثم ابتلاه بما نهاه عنه منها ، الله قد سبق بعلمه أنّ آدم ينظر إلى الشجرة ويأكلها وليس في معنى هذا ظلم لآدم أبداً لأن آدم أكل باختياره أو بما سبق به علم الله ؟ بإرادته واختياره التي لاتخرج عن قضاء الله وعلمه ولكن لما تاب آدم من أكل الشجرة صار من أكله منها وتوبته من ذلك ممدحةٌ لآدم ولهذا لما تحاجّ آدم وموسى كما في الصحيحين [1] فمن حج الآخر ؟ حج آدم موسى لما احتج بقدر الله على المصيبة أم على المعيبة ؟ لما احتج بقدر الله على المصيبة لا على المعيبة لأن المصيبة وقعت وتاب إلى الله منها فلم تكن معيبة صارت في حقه رفعت في درجته ثم سلط عليه عدوه . وهذا العدو المسلط : إبليس سلطه الله على آدم لما أبى أن يسجد له ، لما أبى أن يسجد إبليس مع الملائكة لآدم ، والسجود لآدم ما هو ؟ الجواب : عبادة لله وإكرام لآدم. ليس هو عبادة لآدم كما قد يفهمه الغالط وإنما هو عبادة لله لأنه الآمر بالسجود وهي كرامة لآدم. سجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس هنا استثناء ، فإبليس مع أنه كان طائعاً وعابداً قبل ذلك حتى رفعه الله من الأرض وسكن الجنة مع الملائكة ، لكن رجع إلى أصله الناري ، وكبره وعجبه فأبى أن يسجد ؛ فامتحنه الله وطرده ولعنه واستنظر به فأنظره قال (قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [2]) ثم بعد الإنظار مكان إبليس النار . فأنظره الله

[1] – رواه البخاري ، رقم (٣٤٠٩) ؛ ومسلم ، رقم (٢٦٥٢) .
[2] – الأعراف : ١٤ .

ابتلاءً لآدم وذريته ، فوقع الابتلاء على آدم وعلى ذريته وعلى زوجه بأكله من الشجرة ، وسيتبع إبليس أكثر ذرية آدم (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ [١]).

الْجَنَّة وَالنَّار

٥ – ثمَّ خلق للجنة من ذُريَّته أَهلا فهم بأعمالها بمشيئته عاملون وبقدرته وبإرادته ينفذون ، وَخلق من ذُريَّته للنار أَهلا فخلق لَهُم أعينا لَا يبصرون بهَا ، وآذانا لَا يسمعُونَ بهَا ، وَقُلُوبًا لَا يفقهُونَ بهَا فهم بذلك عَن الْهدى محجوبون ، وبأعمال أهل النَّار بسابق قدره يعْملُونَ .

في قوله رحمه الله ثم خلق للجنة من ذرية آدم ليس في معنى هذا أن ترتيب خلق الجنة أنه مرتب على خلق آدم ، فإن خلق الجنة سابق على خلق آدم . والترتيب هنا بترتيب القضاء والقدر. ترتيب القضاء والقدر بترتيب مفعولاته وما يقع من هذا القدر ، فإن تقدير الله خلق آدم بعده تقديره إنه جعل من ذرية آدم أناساً لأهل الجنة وأناساً لأهل النار ، أي بما سبق علمه ونفذ به إرادته وتقديره فهم بإعمال الجنة بمشيئته عاملون : عاملون بعمل الجنة بما سبق من علم الله وبمشيئة الله ، كما أن أهل النار عملوا بعمل أهل النار بمشيئة الله ، أي بما مضى من عمله وتقديره لا أن يدخلون الجنة والنار بمحض المشيئة ، فدخول الجنة والنار ليس بمحض المشيئة ؛ وإنما بمشيئة مع تكليف المكلفين ، ولو أن الله عذّب جميع خلقه عذّب جميع أهل سماواته وأرضه لما كان ظالماً لهم ؛ لأن الخلق خلقه لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ، ولو أدخلهم جميعاً الجنة لما كان ظالماً لهم لكنه سبحانه يهدي ويعصم من يشاء فضلاً يتفضل بذلك على من هداهم وعصمهم ، فاستقاموا فنالوا بذلك جنته ، ويضل من يشاء من خلقه ، ويبتلي عدلاً ؛ لأن الخلق خلقه وله أن يفعل فيه ما يشاء ، فهم دائرون بين فضله وبين عدله ، فمن أصاب عدله فهذا بسبب نفسه ، ومن أصاب

---

[١] – ص : ٨٢ .

فضلة فبرحمة الله به ، (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا [1]) وخلق من ذريته للنار أهلاً أي خلقاً من ذرية آدم فجعل لهم أعيناً وأبصاراً. فجعل لهم أعيناً لا يبصرون بها وآذاناً لا يسمعون بها وقلوباً لا يفقهون بها كما ذكره في غير آية ، ومنها آخر الأعراف " أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ [2] " فجعل لهم أعين لكنها ما دلتهم على الصراط المستقيم كالعميان بل أعمى البصر أحسن منه في الدلالة ، لأن الحقيقة العمى عمى البصيرة لا عمى البصر (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ [3]) جعل لهم آذاناً لكن لا يسمعون بها هم يسمعون حقيقة لكن سيأتي لا ينفعهم ، ويبصرون بصراً لا ينفعهم ، ويفكرون ويعقلون وعندهم ذكاء لكن تفكيرهم لا ينفعهم ولهذا شبههم الله في آية الأعراف بأنهم كالأنعام بل هم أضل لأن الأنعام لها سمع ولها بصر ولها قلب ولكنها جعلت جوارحها فيما ينفعها ، لماذا صاروا أضل ؟ لأن البهائم توحد الله وتعبد الله ومن بني آدم ومن الإنس والجن من كفر بالله وجحده فلم ينفعه سمع ولا بصر ولا عقل ولو كان من أذكى الناس .

عدم الاغترار بالذكاء :

وهنا مسألة أن الإنسان لايغتر بذكائه مهما أوتي من ذكاء فلا يغتر بذكائه فربما هذا الذكاء الذي أوتيه المكلف سبباً في بلائه وفي ضرائه. من تأمل من ضُلال الدنيا أولهم إلى آخرهم وجدهم أذكى الناس . فهذا قارون من أذكى الناس ، وفرعون من أذكى الناس حيث ساس الملايين تحته لكن هؤلاء أوتوا ذكاء ولم يؤتوا عقلاً ، فلا يغتر الإنسان بعقله ولا بماله ولا بمنصبه ولا بنسبه. إنما يتكل على ربه في هدايته ولهذا تقرأون في كل ركعة: " اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ "

---

[1] – النساء : ٧٩ .

[2] – الأعراف : ١٩٥ .

[3] – الحج : ٤٦ .

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى *** فأولُ ما يجني عليه اجتهادُهُ [1]

مع ما جعل الله لهم من الأدوات لكنهم عن الهدى محجوبون وبأعمال أهل النار بسابق قدر الله يعملون. لن يدخل أحد النار بمحض المشيئة حتى يعمل لها عملاً فدخولهم النار ؛ لأنهم علموا عمل أهل النار ، ودخول أهل الجنة لأنهم عملوا عمل أهل الجنة وهذا فيه أصل عظيم في باب العمل بالإيمان والرد على المرجئة ؛ أنه لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بسنة ولا سنة إلا على طريق النبي وبهذا اتفق السلف ، حتى نشأ ناشئة من الخلف المتعالمين فقالوا العمل لا علاقة له بالإيمان ، أو العمل شرط كمال ، ما هو شرط صحة ، أو العمل لا يؤثر في الإيمان ، إلى أنواع التمحلات والتعالم الذي وقع فيه هؤلاء ليبرروا أخطائهم ؛ وإلا لو كانوا عقلاء لاستغفروا ربهم مما وقعوا فيه من غلط ورجعوا فيه. إلى جادة أهل السنة وردوا العلم إلى أهله ، ولم يتعالموا على خلق الله ، ولتأدبوا مع العلماء وعرفوا قدرهم !

الْإِيمَان

٦ – وَالْإِيمَان قَول وَعمل مَعَ اعْتِقَاده بالجنان قَول بِاللِّسَانِ وَعمل بالجوارح والأركان ، وهما سيان ونظامان وقرينان لَا نفرق بَينهمَا ، لَا إِيمَان إِلَّا بِعَمَل وَلَا عمل إِلَّا بِإِيمَان ، والمؤمنون فِي الْإِيمَان يتفاضلون وبصالح الْأَعْمَال هم متزايدون ، وَلَا يخرجُون بِالذنُوبِ من الْإِيمَان ، وَلَا يكفرون بركوب كَبِيرَة وَلَا عصيان ، وَلَا نوجب لمحسنهم الْجنان بعد من أوجب لَهُ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَلَا نشْهد على مسيئهم بالنَّار .

هذه الجملة جملة عظيمة عن الإرجاء تتعلق ببدعة الإرجاء، وهي في تقرير العلماء لها تسمى مسائل الإيمان ، وهي أول المسائل التي وقع فيها الانحراف بين أهل

[1] – هذا البيت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه . كما ذكره التنوخي في كتابه : الفرج بعد الشدة ، ١ / ١٧٧ .

القبلة، فهي ثمرة ونتاج مذهب الخوارج الذين كفروا الناس بالذنب ونتاج مذهب المرجئة وأولهم الجهمي الذي قال لا يضر مع الإيمان ذنب .

الإيمان عند أهل السنة والجماعة :

فذكر رحمة الله معنى الإيمان وأن الإيمان عند أهل السنة قول باللسان وعمل واعتقاد وهذا متفق عليه ، وتفصيله الإيمان عند أهل السنة يقوم على خمسة أسس: ١- فهو قول باللسان أعظمها قول لا إله إلا الله مفتاح دخول الإسلام ٢- وعمل بالأركان لا إيمان إلا بعمل لو قال أنا مسلم وقعد ببيته لم يصلي ولم يصم ولم يحج ولم يعبد الله ما نفعه هذا أنه مسلم ، لأنه أخلى العمل عن إسلامه واعتقاده وهو اعتقاد بالأركان ، ٣- اعتقاد بالجنان بالقلب وهذا هو المدار وهو المناط قد تكون صورة العمل صورة إيمان يقول لا إله إلا الله لكن ما اعتقدها يصلي بلا نية ولا إخلاص لا تنفعه. ٤- يزيد بطاعة الرحمن ٥- وينقص بطاعة الشيطان. وقال وهما أي القول والعمل سيان قرينان لا نفرق بينهما لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان هذا ماأجمع عليه السلف : أن لا إيمان إلا بالعمل ولا عمل إلا بالإيمان. فلو عمل الإنسان عملاً : تصدق ، جاهد ، أنفق ، صلى ، صام ، برَّ ، دعا ...الخ ، ولم يقم ذلك على اعتقاد صحيح ، فلا ينفعه ذلك ، فالمنافقون عملوا ذلك ولم ينفعهم بل أرداهم في النار ؛ لأن العمل تخلف عن الاعتقاد ، ولو قام عنده اعتقاد كما يدعيه. وليس عنده عمل ما ينفعه لابد مع الاعتقاد من عمل .

أنواع العمل والقول :

والعمل عملان ، والقول قولان ، فالعملان : ١- عمل القلب النية ، عمل التوكل عمل الخشية ، عمل الخوف ، عمل التذكر ، عمل الإنابة عمل الاستكانة عمل ، هذا عمل القلب .

٢-وعمل الجوارح المعروف طواف وسعى وأذان وقراءة وصوم وصلاة وحج ...الخ هذه أعمال الجوارح .

والقول قولان أيضاً : ١- قول الجوارح كقول لا إله إلا الله ، وقراءة القرآن والأذان والتسبيح والذكر .

٣-وقول القلب هو اعتقاد القلب ، اعتقاد بالله بأسمائه وصفاته ورسله وملائكته وجنته وناره وقضاءه وقدره هذا كله قول القلب .

فالعمل والاعتقاد سيان ونظامان وقرينان لا نفرق بينهما وإنما حصل التفريق بينهما من أهل البدع سواء أهل البدعة الغلاة الوعيدية من الخوارج والمعتزلة أو أهل البدعة المتحللة من المرجئة .

فرق المرجئة في الإيمان :

والمرجئة عدة طبقات : ١- أعلاها الجهمية القائلون بأن الإيمان هو المعرفة فقط ، فمن عرف الله فهو مؤمن ، ومن جهله فهو كافر ٢- يليها المتكلمون وأشدهم الأشاعرة القائلون : بأن الإيمان هو تصديق القلب ، فالكفر عندهم هو التكذيب ، والجحود تكذيب وزيادة . ٣- يليها الكرَّامية القائلون : بأن الإيمان هو قول اللسان . ٤- يليها الماتريدية القائلون : بأن الإيمان هو قول اللسان وعمل الأركان ركن زائد ليس بأصلي ٥- يليها مرجئة الفقهاء بأن الإيمان قول واعتقاد فقط دون الإعمال فهو ليس في مسمى الإيمان ، والداخلون في الإرجاء داخلون في إحدى هذه المراتب الخمس والمقام لا يمكن فيه بسطها ، فمن قالوا إن الصلاة ليست من الإيمان داخلون في حقيقة قول الجهمية الذين قالوا إن الإيمان يكفي بالمعرفة ، ما أوجبوا الصلاة ، ولا دين يكون عندنا إلا بهذه الصلاة ، ولهذا أجمع السلف على كفر تاركها.

تفاضل أهل الإيمان بالزيادة والنقصان :

والمؤمنون يتفاضلون في الإيمان ، هذه مسألة زيادة الإيمان ونقصانه ، وهي من أعظم مسائل الإيمان بعد معرفة المسمى. فالإيمان يزيد " وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى [1] " ، " وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا [2] " . وكل شيء يزيد لابد أنه

[1] – محمد : ١٧ .

[2] – المدثر : ٣١ .

ينقص، ولهذا قال جل وعلا في نقصان الإيمان.(هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ [1]) . قَرُب من الكفر لأنه نقص إيمانه فكاد أن يخرج من الإيمان ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام " ما رأيت من ناقصات عقل ودين " [2]. ينقص العقل بالنسيان والتناسي ، ونقص الدين بأن صلاتها تبقى أيام لا تصوم ولا تصلي ، ومن صلى وصام أرفع درجة من الذي لم يصلّ مع أنها لاتؤاخذ بترك الصلاة أو الصوم لأن الله تعبدها بذلك ، دل على أن من صلى أفضل ممن لا يصلي.

يتفاضلون بصالح الأعمال وهم متزايدون. يزداد الإيمان حتى يبلغ الكمال ، ويضعف الإيمان حتى يبلغ الكفر ولا يُخرجون من الإيمان بالذنب وهذا رد على الوعيدية من الخوارج والمعتزلة الذين قالوا من أذنب الذنب خرج من الإيمان فأما الخوارج قالوا صاحب الذنب خرج من الإيمان.

الوعيدية لا يفرقون بين الذنوب الصغائر والكبائر :

بالمناسبة الوعيدية كلهم لا يفرقون بين الصغائر والكبائر ، لكن يفرقون بينهم أهل السنة. فالخوارج يقولون من فعل ذنباً خرج من الإيمان و يصير عندهم كافر حلال الدم والمال ، ولو مات هو في نار جهنم.

أما المعتزلة فجنبت عن ذلك ، فقالوا من فعل ذنباً خرج من الإيمان ولم يدخل في الدنيا في الكفر بل بقي في محطة بينهما ، وهو قولهم منزلة بين المنزلتين لا هو مؤمن ولا كافر ، فإذا مات فهو خالد مخلد في النار .

الفرق بين مذهبي الخوارج والمعتزلة في صاحب الذنب :

ولهذا لما لم يستبن مذهبهم من صاحب المعصية في الدنيا واستبان في الآخرة ، ولهذا قال العلماء إن المعتزلة مخانيث الخوارج والمخنث عند العرب وفي الشرع :

---

[1] – آل عمران : ١٦٧ .

[2] – رواه البخاري ، رقم (٣٠٤) ، ومسلم ، رقم (١٣٢) .

من لم يتبين فيه أنه ذكر أو أنثى ؛ لأنه مشتبه فيه .ولهذا قيل مخانيث الخوارج ، لأن الخوارج قالوا بأن صاحب الذنب كافر في الدنيا وفي الآخرة هو في النار ، أما المعتزلة فقالوا بأن صاحب الذنب في الدنيا لا هو مؤمن ولا كافر ، بل في منزلة بين المنزلتين وفي الآخرة هو في النار . فآل قولهم إليهم . وهذا ما أجمعت عليه الخوارج في حق صاحب الذنب أنه في النار لأنهم كفروه بالذنب وهذا هو خصيصة الخوارج قديماً أو حديثاً يُكفرون مخالفهم بما يعتقدونه كفراً وهو في حق دين الله ليس كفراً ، نعم قد لايُكفرون بكل ذنب لكن بما يسمى عند العلماء ، إذ يكفرون به وإن لم يبلغ به حد الكفر ، قال لا يخرجون بالذنب من الإيمان ولا يُكفرون بارتكاب كبيرة ولا عصيان.

صاحب الذنب عند أهل السنة :

فالمؤمن عندنا عند أهل السنة إذا أتى ذنباً يصير مؤمناً بإيمانه فاسق بذنبه بكبيرة أو عاص بمعصيته ، قال الله في حق المتقاتلين (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا [1]) فسماهم المؤمنين وقال (فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ [2]) فسماهم إخوانا لنا. لو كانوا كفار ما جاز أن يسميهم ذلك. دل على أنه لا يخرج من الإيمان مادام أنه عنده إيمان حتى يأتي ما ينقض هذا الإيمان. والإيمان قولي وفعلي واعتقادي.

الشهادة للمعيّن بالجنة والنار :

وعند أهل السنة والجماعة عدم القطع لأحد بجنة أو نار إلا لمن جاء له النص الشريف من الوحي بذلك ، بل نحسن الظن بالمسلمين ، ولا نوجب لمحسنهم الجنان بعد ما أوجب له النبي عليه الصلاة والسلام بعدما شهدوا على أنفسهم ، هذه مسألة تسمى مسألة الشهادة عين بالجنة أو النار والسلف كثر كلامهم فيها. هذا المزني والطحاوي في عقيدته يذكرونها لأنها كانت من جراء الفتنة التي وقعت في آخر القرن الأول ، فتنة الإرجاء هل نحكم على معين بالجنة أم لا ؟ هل نحكم عليه

---

[1] – الحجرات : ١٧ .

[2] – الحجرات : ١٠ .

بالنار أم لا ؟ وأهل السنة مذهبهم فيها المذهب الحق هو أن لا نشهد على المعين لا بالجنة ولا بالنار. إلا من شهد له النبي عليه الصلاة والسلام.

يعني من شهد له الوحي بذلك . من عينهم الله أنهم في النار من : فرعون وقارون وإبليس عينهم بأسمائهم.

ممن عينهم الله أنهم في الجنة : آسيا بنت مزاحم زوجة فرعون ، فهي في الجنة ، ومريم بنت عمران. ممن عينهم النبي عيه الصلاة والسلام أنهم في النار بأعيانهم : عمرو بن هشام أبوجهل ، وأمية بن خلف ، وعمه أبوطالب. وممن عينهم النبي فهم في الجنة بأعيانهم العشرة المبشرون بالجنة . من العشرة من شهد له النبي بعينه في الجنة نقطع بأنه في الجنة. مَن دونهم المعين لا نقطع له. لكن نشهد بالجملة. فالصحابة – رضي الله عنهم – كلهم في الجنة رضي الله عنهم . والمؤمنون في الجنة. والكفار في النار. هذا جملة غير المعين. تبقى مسألة غير من نصّ عليهم الوحي الشريف في الجنة أو في النار هذه اختلف فيها العلماء على أقوال ثلاثة ، أصحها القول الذي ذكرناه .

القول الثاني لا يُقطع بالجنة إلا للأنبياء عليهم السلام ، قاله محمد بن الحسن من الحنفية .

والقول الثالث يشهد بالجنة أو النار لمن شهد له المؤمنون ، وهؤلاء أشكل عليهم قول النبي عليه الصلاة والسلام لما مر بين يديهم بجنازة فأثنوا عليها خيراً قال وجبت قالوا ما وجبت قال : قال وجبت له الجنة ، ومروا بجنازة فأثنوا عليها شرا ، قال : وجبت ، قالوا : ماوجبت ؟ قال : وجبت له النار ، ثم قال كدتم أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار أنتم شهداء الله في الأرض [1]". ظن بعض الناس أن من أطبق المؤمنون له بالشهادة أنه من أهل الجنة وأطبق المؤمنون له الشهادة أنه من أهل النار ؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام هو الذي قال ذلك في هذا ،وفي هذا النبي عليه الصلاة والسلام يوحى إليه ، والنبي عليه الصلاة والسلام قال كدتم ولم يقل

---

[1] – رواه البخاري ، رقم (١٣٦٧) ؛ ومسلم ، رقم (٩٤٩) .

جزمتم ، ولم يقطع لهم ، وكاد من أفعال المقاربة ، ولهذا أهل السنة يقولون : ولا نشهد لمعين بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار. لكن نرجو للمحسن أن يكون من أهل الجنة ، ولا نقطع ونخاف على المسيء أنه من أهل النار ولا نقطع . هذه أصح الأقوال في هذه المسألة.

من مات مشركاً أيحكم عليه بالنار ؟ :

من مات على الشرك والكفر تجري عليه في الدنيا أحكام الشرك والكفر ، لا نغسله ، ولا نصلي عليه ، ولا يورث من المسلم ، ولا ندعو له ، ولا نترحم عليه ، ونقول إذا مات على ما هو عليه فهو من أهل النار .

إذاً لا نعلم ما بينه وبين الله جل وعلا فلا نقطع لا للمعين في الجنة و لا للمعين في النار إلا من جاء له الوحي الشريف بذلك . قد تقول ما الجواب على قول النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه وغيره (إذا مررتم بقبور المشركين فاشهدوا لهم بالنار .. وفي رواية إذا مررتم بقبر مشرك فبشروه بالنار[١]) ؟ فالجواب بقوله إذا مررتم بقبر مشرك بأن يُرد هذا اللفظ الآخر بقبور المشركين ، وهو أكثر ألفاظه ورودا فيبقى على المطلقين غير المعينين . فنقول: أبشروا بالنار أي لعموم المشركين وهذا ما ندين ونعتقده أن جنس الكفار في النار؛ إذاً القطع للمعين أنه بالنار هذا ليس إلينا.

وهذا مثال يوضح المقصود : فلو قُبض على ساحر وحُوكم بحدّ الردة لأنه ساحر، ولم نعلم منه توبة ، فلا نقطع له بعينه أنه من أهل النار ، نجري عليه أحكام الكافر في الدنيا لكن لا نقطع بالحكم الأخروي أنه في النار لأننا لا ندري بينه وبين ربه، وبم ختم له !

[١] – رواه ابن ماجة ، رقم (١٥٧٣) ، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢ / ٤٣) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة ، (٥٨٩) ، ورواه الطبراني في الكبير ، ١ / ١٩ ، ورواه البزار ، ١ / ٦٤ ؛ والضياء في المختارة ، ١ / ٣٣٣ ؛ والهيثمي في مجمع الزوائد ، ١ / ١١٧ ؛ وانظر : السلسلة الصحيحة للألباني ، (١٨) .

ولهذا احتيج إلى معرفة القطع بماذا ؟ إلى الوحي لأن الله يعلم وأعلم من نبيه بحال أهل الجنة وأهل النار.

الْقُرْآن

٧ – وَالْقُرْآن كَلَام الله عز وَجل ، وَمن لَدنه وَلَيْسَ بمخلوق .

هذه مسألة أخرى فيما حصل فيه تشويش وانحراف من المبتدعة أهل الأهواء . القرآن كلام الله وهو صفة من صفاته ، فالله تكلم بالقرآن ، وتكلم قبل القرآن بالإنجيل ، وقبل الإنجيل بالزبور، وقبل الزبور بالتوراة ، وقبل التوراة بصحف إبراهيم ، وتكلم الله كلاماً لا نعلمه وسيتكلم بعد ذلك . فإن الله من صفاته أنه متكلم ، وكلام الله من الصفات الذاتية التي تتعلق بذاته ، ومن الصفات الفعلية في إفراده وآحاده ولهذا في آية سورة الأنبياء (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ [١]). معنى محدث أي متجدد ، وليس محدث أي مخلوق ، فالله يتكلم إذا شاء بما شاء وبهذا الاعتبار فصفة الكلام من الصفات الفعلية ، لكن أصل الصفة من الصفات الذاتية .

القرآن كلام الله عز وجل ومن لدنه أي هو الذي ابتدأه وليس بمخلوق فيبيد ؛ لأن كل مخلوق كتب الله عليه الموت والفناء ممن كتب عليهم ذلك.

الله جل وعلا وصف القرآن في غير ما آية (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ [٢]) ، (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ [٣]) فنسب الله القرآن إليه كلام تكلم به بل نسب نفسه أنه متكلم (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا [٤]) .

قصة العالم السني مع الجهمي في القرآن :

من لطائف الاستدلال أن القارئ المشهور أبوعمرو بن العلاء جاءه أحد الجهمية فقال له أريد ان تقرأ قول الله (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) أن تقرأها هكذا وكلم اللهَ موسى. فيكون موسى هو المُكّلم والله هو المكَلَّم ، لئلا لا يثبت الكلام صفة لله قال له :هب

---

[١] – الأنبياء : ٢ .

[٢] – التوبة : ٦ .

[٣] – النساء : ٤٦ .

[٤] – النساء : ١٦٤ .

أنّي فعلت ذلك كيف تصنع بقول الله جلا وعلا (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه [1]) قال ففر منه هذا الجهمي ، أوتي من عُجمته ، إذاً الكلام صفة الله . قال ومن لدنه لأنه قال في القرآن إنه علم الله. (الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ [2]) فالقرآن من علم الله. ولهذا أعظم ما حاج الإمام أحمد لمّا نُوظر في حضرة المعتصم. ناظره اثنين وأربعين عالماً من علماء الجهمية والمعتزلة قال أجيبوني بأية واحدة أن القرآن ليس من علم الله ، والله يقول الرحمن علّم القرآن ، والله يقول " فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ [3] " . ما العلم الذي جاء به ؟ هو القرآن فالقرآن من علم الله والله قال (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا [4]) إذا كيف يأتي علم الله من لدنه إلا بالوحي ، فالله سبحانه متكلم ولهذا قال بن عباس ما تقرب لله من العباد بشيء بأفضل مما خرج منه القرآن. هذا القرآن من الله بدأ أي ظهر القرآن من الله ، بدأ بالهمز أي ابتدأ بالكلام منه وإليه يعود في آخر الزمان إذا أعرض الخلق عن كلام الله رجع الكلام لصاحبه.

الصِّفَات :

٨ – وكلمات الله وقدرة الله ونعته وَصِفَاته كاملات غير مخلوقات، دائمات أزليات وَلَيْسَت بمحدثات فتبيد وَلَا كَانَ رَبنَا نَاقِصا فيزيد ، جلت صِفَاته عَن شبه صِفَات الْمَخْلُوقين ، وَقصرت عَنهُ فطن الواصفين ، قريب بالإجابة عِنْد السُّؤَال ، بعيد بالتعزز لَا ينَال، عَال على عَرْشه بَائِن من خلقه مَوْجُود وَلَيْسَ بمعدوم وَلَا بمفقود .

بدأ بقوله وقدرة الله ونعته وصفاته كاملات. أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق كلماته الشرعية والكونية تامّة لا نقص فيها ، وقدرة الله أيضاً تامة غير ناقصة ، وإلا يكون يلزم عليها العجز والنقص في حق الله وحاشا ذلك ربنا.

---

[1] – الأعراف : ١٤٣ .

[2] – الرحمن : ٢ .

[3] – آل عمران : ٦١ .

[4] – الكهف : ٦٥ .

ونعته وصفاته ، النعت هي الصفة والوصف ، وهذا من باب التنويع ، وقد ألف الإمام النسائي كتاباً – هو في الحقيقة جزء من كتاب السنن الكبرى – سمَّاه " كتاب النعوت " و المراد بالنعوت : الصفات ، أي صفات الله. ونعوته وصفاته كاملات غير مخلوقات لأن صفات الله من ذاته ، وأسماءه وصفاته تامة لا نقص فيها ولا عيب غير مخلوقة. أزليات يعني قديمات لأن الله قال هو (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [1]) فالله كان بصفاته قبل خلقه كما قاله الطحاوي : " ما زال بصفاته قبل خلقه لم يزداد بكونهم شيئاً لم يكن قبله من صفة وكما كان بصفاته أزلياً فهو كذلك عليها أبدياً [2] " ، وليس بمحدثات أي أن صفات الله وكلماته وذاته ونعوته ليست محدثة لأن المحدث يبيد وينتهي ويزول ، والله بأسمائه وصفاته واحد أحد ، لا مُحَدث ولا مخلوق ، ولم يسبقه نقص ولا كان ربنا ناقصاً فيزيد. لا يظن أن الظان إذا أثبت لله صفة أن الله ازاداد بها ، الله متصف بها أزلاً في القدم ويبقى عليها أبداً لا يزداد بهذه الصفات لأنه كامل أبداً وكامل أزلاً ، لم يأته علم لم يكن عنده ، ولم تلحقه قدره كان عاجزاً عنها ، ولم تحدث له صفة لم يكن متصفاً بها وهذا من نعوت جلاله ونعوت فوحدانيته سبحانه الذي استحق بها الربوبية والتي استلزمت إفراده بالعبادة والألوهية .

تقدس الله عن الشبيه وعن المثيل :

قال : **جلت صفاته عن شبه صفات المخلوقين** لا أحد يشبه الله بصفاته من خلقه أبداً والدليل (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ [3]) والدليل (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [4]) والدليل (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا [5]) والدليل (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا [6]) أي نظراء ، فالله لا

[1] – الحديد : ٣ .
[2] – شرح العقيدة الطحاوية ، تخريج الألباني ، ط : المكتب الإسلامي ، ص ١٢٧ .
[3] – الإخلاص : ٤ .
[4] – الشورى : ١١ .
[5] – مريم : ٦٥ .
[6] – البقرة : ١٦٥ .

يناظره ولا يساميه ولا يمايزه ، ولا يكافئه شيء من خلقه ، ومن قال أن صفات المخلوقين كصفات الخالق كفر ، كما قاله عبدالله بن المبارك وأجمع عليه السلف ، من وصف الله بمعنى من معاني البشر كفر ، ومن شبه الله بخلقه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله نفسه تشبيه.

وقصرت عنه فطن الواصفين مهما حاول الواصفون والناعتون فإنهم لن يستطيعوا أن يدركوا لله كُنه ذاته ولا كيفية صفاته حتى نبينا عليه الصلاة والسلام خفي عنه كيفية صفات الله وكيفية ذاته أعلمه الله بأسمائه الحسنى وأعلمه بصفاته . لكن (الكُنه) هو الحقيقة ومبلغ الآمال انقطع عنه كل خلق الله ،ولهذا علمنا صلى الله عليه وسلم في دعاء الهم ." أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحد من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك [1] ". إذاً من أسماء الله ونعوته ما استأثر الله بها. فلا يمكن أن يكون الله في ذهن كل ذاهن لا تبلغه الأوهام لا تدركه الافهام مهما بلغ الذكاء والإحاطة لن يبلغ كُنه ذاته سبحانه ، ولا حقيقة كيفية صفاته

قريب بالإجابة عند السؤال بعيد بالتعزز أي : بالعزة وهي المنعة والارتفاع إذا قيل نخلة عزيزة أي مرتفعة.

بالتعزز لا يُنال ، بتعزز أسمائه وصفاته وذاته بكيفيتها ولا بقدرها فلا يناله أحد ، وهو عند إجابة داعية قريب كما قال جل وعلا (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ [2]) ولما كان النبي عليه الصلاة والسلام مع أصحابه في سفر في حديث أبي موسى رفعوا أصواتهم بالدعاء قال لهم :" أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصماً يعني يسمع , ولا غائباً بل حاضر معكم

[1] – رواه الإمام أحمد ، رقم (٣٧١٢) ؛ والحاكم في المستدرك ، رقم (١٨٧٧) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ١٠ / ١٣٦ : ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان .

[2] – البقرة : ١٨٦ .

إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته فارْبَعُوا على أنفسكم [١]". بل بالدعاء أُمرنا بالإخفات لأنه أدعى للإخلاص. ففي باب الذكر شرع لنا رفع الصوت في التلبية في الذكر عقب الصلاة لأنه في معنى التوحيد ومعنى الدعوة إليه.

قال: **عالٍ على عرشه بائن من خلقه موجود ليس بمعدوم ولا مفقود** ، هذه ماأطبق عليها السلف وأجمعوا عليه أن الله عالٍ على عرشه بائن من خلقه. عالٍ على عرشه كما جاء في الآيات (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ [٢]) ، (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى [٣]) ، (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ [٤]) ، (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ [٥]) بائن من خلقه أي منفصل عنهم غير ممازج لهم غير مخالط كما يعتقده أهل الحلول والاتحاد وأهل وحدة الوجود ، بل الخالق شيء والمخلوق شيء آخر ، فهو مع قربه بعلمه وإحاطته هو بعيد عنهم منفصل عنهم بذاته ، لأنه فوقهم وهذا ما أجمع عليها أهل السنة لأنها مدلول الأحاديث والآيات.

قال **موجود** ضد المعدوم ، وهذا من باب الخبر والإطلاق وليس من أسمائه سبحانه ، فالله تعالى يخبر عنه بأنه موجود أي أنه ليس معدوم ولا مفقود ، فإن المعبودات هي أوهام وبعضها غير موجود معدوم ، لكن ربنا جل وعلا المعبود الذي لم تره العيون في الدنيا ، ولم تحسه الأيادي ، هو موجود ليس بمفقود ولا معدوم ليُعبد ، ولهذا كانت أجلّ كرامة وأعظم عطية وأرفع مِنَّةٍ في الجنة يمنحها الله لأوليائه أن يكشف الحجاب عن وجهه فينظرون إلى من عبدوه في الدنيا ولم يروه ، وهذا كما في قول النبي عليه الصلاة والسلام في الصحيحين [٦] وهي أجمع ما جاء في وصف نعيم الجنة قوله عليه الصلاة والسلام : " إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن

---

[١] – رواه البخاري ، رقم (٢٩٩٢) ؛ ومسلم ، رقم (٢٧٠٤) .
[٢] – الأعراف : ٥٤ .
[٣] – الأعلى : ١ .
[٤] – البقرة : ٢٥٥ .
[٥] – النحل : ٥٠ .
[٦] – رواه البخاري ، رقم (٣٢٤٤) ؛ ومسلم ، رقم (٢٨٢٤) .

سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرأوا إن شئتم " فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [1] ".

الآجَال :

٩ – والخلق ميتون بآجالهم عِنْد نفاد أَرْزَاقهم وَانْقِطَاع آثَارهم .

يقول رحمه الله تعالى والخلق ميتون بآجالهم عند نفاد أرزاقهم وانقطاع آثارهم ، كما قال الله جل وعلا (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [2]) وفي قول الله جل وعلا (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ [3]) فمن مات مات بأجله ، و هو ما قدره الله عليه في تقديره الشامل ، الذي أخذ منه التقدير العمري .

فالتقادير أربعة : ١–تقدير الشامل وأخذ منه ثلاثة تقادير، ٢– التقدير العمري كما جاء في الصحيحين من حديث بن مسعود قال : أخبرني الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم أربعين يوماً مضغة ثم علقة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد [4] " الحديث. ٣– والتقدير الحولي الذي يكون في ليلة القدر كما في آية الدخان (حم ، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ [5]) ، يفرق يعني يؤخذ ، فتقدير السنة يؤخذ من اللوح المحفوظ هذه الليلة المباركة ليلة القدر .٤– والرابع التقدير اليومي المنوه عنه في آية الرحمن (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ [6]) وهي رد على اليهود الزاعمين أن الله لما خلق السموات والأرض تعب ونصب ولحقه الإعياء ، فاستراح يوم السبت ، فكذبهم ربي وعابهم .

---

[1]– السجدة : ١٧ .

[22] – آل عمران : ١٨٥ .

[3] – الأعراف : ٣٤ .

[4] – رواه البخاري ، رقم (٥١٠) ؛ ومسلم ، رقم (٢٦٤٣) .

[5] – الدخان : ٤ .

[6] – الرحمن : ٢٩ .

قال بآجالهم ميتون بآجالهم أي عند تمام آجالهم عند انقطاع. (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ [1]) أي ينقطع وينتهي فمعنى نفاد آجالهم أي انتهاء وانقطاع أرزاقهم ، ولهذا يقول العوام لا تموت النفس حتى تأكل آخر رزقها آخر لقمة لها ، وانقطاع آثارهم من جهة الحياة.

رد قول المعتزلة في المقتول :

وفي هذا رد على المعتزلة لأن المعتزلة تقول إن الميت يموت بأجله فإذا قتل انقطع أجله فكأن له أجلان أجل بموته لو عاش لانتهى إليه وهذا القتل قطع عليه أجله وهذا رد صريح لصريح القرآن وصريح السنة ، سنة النبي عليه الصلاة والسلام ومما استأثر الله بعلمه متى تموت النفس كما في آيتي الأنفال (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ [2]) وآخر لقمان (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [3]) ولهذا ثبت في الصحيح قول النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله [4] "ومنها متى تموت النفوس. ولن تموت حتى تستوفي رزقها وأجلها.

الْقَبْر :

١٠ – ثمَّ هم بعد الضغطة فِي الْقُبُور مساءلون .

النشور والحساب :

١١ – وَبعد البلى منشورون وَيَوْم الْقِيَامَة إِلَى رَبهم مَحْشُورُونَ ولدى الْعرض عَلَيْهِ محاسبون بِحَضْرَة الموازين وَنشر صحف الدَّوَاوِين أَحْصَاهُ الله ونسوه فِي يَوْم كَانَ مِقْدَاره خمسين ألف سنة ، لَو كَانَ غير الله عز وَجل الْحَاكِم بَين خلقه لكنه الله يَلِي الحكم بَينهم بعدله بِمِقْدَار القائلة فِي الدُّنْيَا

---

[1] – النحل : ٩٦ .

[2] – الأنعام : ٥٩ .

[3] – لقمان : ٣٤ .

[4] – رواه البخاري ، رقم (٤٦٢٧) .

وَهُوَ أسْرع الحاسبين ، كَمَا بدأه لَهُم من شقاوة وسعادة يَوْمئِذٍ يعودون، فريق فِي الْجنَّة وفريق فِي السعير .

الْجنَّة :

١٢ – وَأهل الْجنَّة يَوْمئِذٍ فِي الْجنَّة يتنعمون ، وبصنوف اللَّذَّات يتلذذون وبأفضل الكرامات يحبرون .

هذه الجملة تتعلق بالنشور والموازين وهي تتعلق كلها بأصل من أصول الإيمان الستة وهو أصل الإيمان باليوم الآخر ، والإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بثنتي عشرة مرحلة هي : ١– أولاً : أشراط الساعة ٢– ثم الموت بسكراته وأهواله ٣– ثم البرزخ وهو القبر وما فيه من الأهوال الشداد أتي أشار الماتن رحمه الله إلى طرف منها.٤– وكذلك النفختان الأولى نفخة الصعق أولها فزع وآخرها صعق ، والثانية نفخة البعث وبهذا تأتلف آية النمل و النمل مع آخر الزمر ، ٥– الخامس عرصات القيامة ، والقيامة يقوم الناس لرب العالمين وما فيها من الأهوال الشدائد التي نوه الله بها في سورة المؤمنون وسورة الحج وفي غيرها ، ٦– السادس الشفاعات وأعظمها الشفاعة العظمى والشفاعات في مجملها ثمانية.

أنواع الشفاعات يوم القيامة :

والشفاعات في مجملها ثمانية : خمس منها خاصة بالنبي عليه الصلاة والسلام وثلاث مشتركة مع الأنبياء والملائكة عليهم السلام والشهداء والصالحين : ١– قوم أمر بهم إلى النار أن لايدخلوها . ٢– وقوم دخلوا النار من أهل الذنوب أن يخرجوا منها وكلاهما في عصاة المؤمنين فقط . ٣– وشفاعة ترفع درجات أهل الجنة .

سابعاً : العرض والحساب وتطاير الصحف بالمرحلة السابعة :(يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ [1]) ، ومن العرض تطاير الصحف فمن أخذ كتابه بيمينه وياسعده ، ومن أخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره ويا شقاوته ، ٨- المرحلة الثامنة الحساب، والحساب هو : تعريف العباد بمقادير أعمالهم ، ومن الحساب النقاش ، والنقاش إما نقاش حساب أو نقاش معاذير، والمعاذير نوعان : أ-معاذير أهل الصلاح يوم يدني الله عبده فيضع عليه كنفه يقول عبدي فعلت وفعلت وفعلت فيقر العبد فيدنيه الله جل وعلا ويقول : عبدي سترتها عليك في الدنيا وأنا أمحوها لك اليوم ، وهذا في المؤمن الموحد .

ب- وفي غير المؤمن يوم يعاند ويكابر ويقول : ربي ظلمتني كتبتك يا ربي لا أقبل عليّ شهيداً إلا من نفسي فيختم على فيه ، وتنطق جوارحه بما قارف .

٩- المرحلة التاسعة : الحوض ، حوض النبي عليه الصلاة والسلام وحوضه قبل ذلك في العرصات وهو أعظم الأحواض وأشرفها وأوعبها يصب فيه من ميزابان من نهر الكوثر ولكل نبي حوض كما جاء فيما رواه الترمذي في جامعه مرفوعا عن سمرة بن جندب ومرسلا : " لكل نبي حوضا ، وإنهم يتباهون بهم أيهم أكثر وارده ، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة [2] " ، وحوض صالح كما روي في بعض الأخبار : ضرع ناقته [3] . ١٠ - المرحلة العاشرة الميزان : وهي موازين عدل وقسط ليست ميزاناً واحداً ، تزن العاملين وتزن أعمالهم ، ومن أصرح ما جاء في القرآن

---

[1] - الحاقة : ١٨ .

[2] - رواه الترمذي (٢٤٤٣) في كتاب صفة القيامة ، باب ماجاء في صفة الحوض ، ورواه البخاري في التاريخ الكبير ، ١ / ٤٤ ، وابن أبي عاصم في السنة (٧٣٤) ، وفي زوائد الزهد لابن المبارك (٤٠٤) ، والطبراني في الكبير ، ٧ / ٢٥٩ ، وانظر تتمة تخريجه في رسالتي : ابن الحنبلي وكتابه الرسالة الواضحة (٢ / ١٩٣) .

[3] - أخرجه العقيلي في "الضعفاء" (٣/ ٦٤ - ٦٥) وعنه ابن الجوزي في "الموضوعات" (٣/ ٢٤٤) وقال: حديث موضوع لا أصل له. انظر : موسوعة الألباني في العقيدة ، ٩ / ٣٥٤ .

دلالة عليها (الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ [١]) وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري ومسلم [٢] " إنه ليأتي يوم القيامة الرجل العظيم السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة واقرءوا إن شئتم (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا [٣]) ، وهذا إما إنه مدرج من قول أبي هريرة أو أنه مرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم كما تفاوتت فيه الروايات ، ١١- المرحلة الحادية عشر وهي : الصراط الجسر المنصوب على متن جهنم وصفته أدق من الشعرة ، وأحد من السيف ، معوج ، مظلم ، دحض ، زلق ، عليه كلابيب أُمرت بخطف أقوام ، ودون الصراط يفترق المؤمنون عن المنافقين كما في آية الحديد " يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ [٤] " ، ونبينا عليه الصلاة والسلام عند أدنى الصراط يقول : " اللهم سلم سلم ، فناج مسلّم ومكدوس على وجهه في نار جهنم [٥] " .

ومن الصراط صراط خاص بأهل الإيمان وهي القنطرة ، قنطرة المؤمنين هذا يسمى صراط المؤمنين كما جاء في الصحيح عن أبي سعيد الخدري : " إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ [٦]"

١٢- ثم المرحلة الأخيرة الثانية عشرة إما جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين وهي مائة درجة .

---

[١] - الأنبياء : ٤٧ .
[٢] - رواه البخاري ، رقم (٤٧٢٩) ؛ ومسلم ، رقم (٢٧٨٥) .
[٣] - الكهف : ١٠٥ .
[٤] - الحديد : ١٣ .
[٥] - رواه البخاري ، رقم (٨٠٦) ، ومسلم ، رقم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
[٦] - البخاري ، رقم (٦٥٣٥) .

وإما نار تلظى ، وهي دركات عظيمة ، نعوذ بالله من أسباب سخطه .

هذه مجمل الإيمان باليوم الآخر .

المنحرفون في اليوم الآخر :

الماتن أشار إلى بعض المسائل وسبب ذلك ماوقع فيه الانحراف في زمنه خصوصا من الجهمية المعتزلة فأنهم أشهر من عرف عنهم الانحراف في مسائل وتفاصيل الإيمان باليوم الآخر .

١- أما إنكار الإيمان باليوم الآخر فعرف عن مشركي العرب المنكرون للبعث (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [١]) ، ٢- وممن عرف إنكار البعث الدهرية (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ [٢]) والدهرية في السابق هم الملاحدة ، وهم الآن منكروا رب العالمين ومنكروا البعث .

٢- ومن انحرف في البعث الفلاسفة فأنكروه جملة وتفصيلاً حتى قال قائلهم ما أتى بمعاد الأبدان إلا محمد ، ثم تلطف فلاسفة المسلمين كأبي نصر الفارابي والكندي وبن سينا فقالوا يبعث الأرواح دون الأبدان جمعاً بين الفلسفة القديمة والإسلام بزعمهم. ٤- والمعتزلة والجهمية أنكروا بعض مراحل اليوم الآخر فأنكروا الموازين حتى قالوا ازدراء ومكابرة : لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال

[١] – التغابن : ٧ .

[٢] – الجاثية ، ٢٤ .

والفوال وأنكروا الشفاعات ، ٥- وشاركهم فيها الخوارج ، وأعظم ما أنكروا الشفاعة لأهل الكبائر لاضطراد مذهبيهما لأن صاحب الكبيرة وصاحب الذنب في الآخرة مخلد في النار , اختلفوا في اسمه في الدنيا فقالت الخوارج هو كافر حلال الدم ،قالت الإباضية هو كافر كفر نعمة وقالت المعتزلة هو فاسق ملّي في منزلة بين المنزلتين لا مسلم ولا كافر .

الفرق بين قولي جمهور الخوارج والأباضية في صاحب الذنب

هنا نكتة أيها الأخوة : فإن قول الأباضية قريب من قول المعتزلة ، لأن الأباضية لم يُعملوا في صاحب الذنب أحكام الكفر من جهة حل دمه وماله وعرضه لأن تلزمهم لوازمه ولهذا لو قائل إن الخلاف بين الأباضية والمعتزلة خلاف لفظي مابَعُد.

والأباضية قالوا: هو كافر كفر نعمة ، والمعتزلة قالوا :في منزلة بين المنزلتين ، كما اصطلحوا عليه كما عند عبدالجبار الهمداني المعتزلي أنه فاسق ملّي ، والفاسق الملي عند المعتزلة غير الفاسق الملّي عند أهل السنة ، فإن الفاسق الملّي عند أهل السنة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.أما عند المعتزلة فهو منزلة بين المنزلتين ، لامؤمن ولا كافر .

كما أنكروا الصراط وأنكروا رؤية الله ، ورؤية الله يأتي التنبيه عليها في مقامها .

يقول الشيخ **ثم هم بعد الضغطة في القبور مسؤولون** ، الضغطة هي ضمة القبر التي لا ينجو منها أحد ، قال عليه الصلاة والسلام: " لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا منها سعد بن معاذ [1] " . بما بلغ سعد من الإيمان حتى اهتز لموته عرش الرحمن وحتى أنه لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا منها سعد ؟

وسعد بن معاذ الأوسي رضي الله عنه هو سيد الأوس لم يعش في الإسلام إلا ست سنوات ، فإنه أسلم قبل الهجرة في بيعة الرضوان ومات عام الأحزاب.

ست سنوات عاشها في الإسلام فبلغ هذا المبلغ في كمال الإيمان ، ونحن شابت عوارضنا في الإسلام ، والله يرحم حالنا برحمته.

مسؤولون وهي أسئلة القبر أسئلة معلومة والجواب عليها معلوم .

---

[1] – رواه أحمد ٦ / ٥٥ ، عن عائشة ، وقال الحافظ العراقي في تخريجه الاحياء ٥ / ٢٥٩ : اسناده جيد ، وقال الذهبي في سير الاعلام ١ / ٢٩١ : اسناده قوي ، والحديث له طرق وشواهد ، وروى النسائي (٢٠٥٥) من حديث ابن عمر مرفوعا في سعد رضي الله عنهما : هذا الذي تحرك له العرش ، وفتحت له أبواب السماء ، وشهد له سبعون ألفا من الملائكة ، لقد ضم ضمة ثم فرج عنه " وصححه الألباني في صحيح النسائي ٤ / ١٠٠ ، وضمة القبر في غير ما حديث ، انظر : المطالب العالية ، ١٣ / ١٤٤؛ والسلسلة الصحيحة ، (٢١٦٤) .

كم أسئلة القبر :

كم سيسأل المؤمن من سؤال ؟ إن للمؤمن أربعة أسئلة كما رواه أبوداود وغيره [1] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ، الطويل وهو الأصل في سؤال القبر: ١- من ربك ٢-وما دينك ٣- ومن نبيك ، ٤- السؤال : وما علمك وفي رواية : وما يدريك. يقول المؤمن ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فإذا قيل وما علمك وما يدريك؟ قال قرأت كتاب الله فعرفت ، وأما الكافر والمنافق سيُسأل في قبره ثلاثة أسئلة في هذا في قوله مسؤولون.

وبعد البلى ، والمراد بالبلى بلى الأبدان الأجسام ويبلى من الإنسان كل شيء إلا عجب الذنب رأس العصعص - مثل رأس الدبوس الذي منه يُركب الخلق - فإن الله جل وعلا قدّر أن المخلوقات تبلى أجسادها دون أرواحها أما الأرواح فلا تفني ، وكذلك عجب الذنب وكذلك الجنة والنار لا تفنيان ، وكذلك العرش والكرسي لا يفنيان.

ثمانية حُكْمُ البقاء يعُمُّها ******** من الخلق والباقون في حيِّز العدمْ

هي العرش والكرسي نار وجنة**** * وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم [2]

[1] – رواه أبوداود ، رقم (٤٧٥٣) ؛ والنسائي ، رقم (٢٠٠١) ؛ وابن ماجة ، رقم (١٥٤٨) ، وقال البيهقي في شعب الإيمان ، رقم (٢٠) : هذا حديث صحيح الإسناد ، رواه جماعة عن الأئمة الثقات عن الأعمش .

[2] – البيتان للسيوطي رحمه الله ، راجع : تفسير حدائق الروح والريحان للشيخ محمد الأمين الشافعي ، ٢١ / ٣١١ .

هذه الثمانية كما دلت الأدلة لا تفنى كلها من المخلوقات إذ هذه المخلوقات الثمانية سبقها عدم ما كانت حتى خلقها الله ، سبقها عدم لكن لا يلحقها فنى ، فيبعث الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر ، يبعث الله مطرا كماء الرجال ، فتبعث الأجسام من عجب الذنب هذا ، فتبقى أجسام خاوية لا روح فيها إلي أن يأمر الله إسرافيل في النفخ فيها النفخة الأخرى ثم النفخة الثانية ، فينفخ فتتطاير الأرواح كأنها جراد في السماء ، فنتشر فتسقط كل روح على جسدها الذي خرجت منه ، فيقوم الناس لرب العالمين .

وهذا معنى قول الماتن وبعد البلى منشورون . والنشور وهو القيام لرب العالمين حفاة عراة في صعيد واحد لا مرتفع ولا منخفض ، ويوم القيامة إلي ربهم محشورون ، ولدى العرض عليه محاسبون . العرض هو اجتماعهم جميعا(يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ [1]) ، ومن العرض تطاير الصحف ، ومن العرض عرض الجدال ومن العرض عرض المحاذير كما في حديث عائشة رضي الله عنها لما فرّق لها النبي صلى الله عليه وسلم عليه الصلاة والسلام بين الحساب وبين العرض ، قَالَتْ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} ، قَالَ: « ذَاكُمُ الْعَرْضُ، يَا عَائِشَةُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ [2]» . بحضرة الموازين فهي ليست ميزانا واحدا وإنما موازين كثيرة والميزان كما جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما هو ميزان له لسان وله كفتان [3] ، وعلى هذا أجمع أهل السنة : على الإيمان بالميزان ، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة ، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال [4]، دل عليه حدث

---

١ – الحاقة : ١٨ .

٢ – رواه البخاري ، رقم (٦٥٣٦) ؛ ومسلم ، رقم (٢٨٧٦) .

٣ – أخرجه البيهقي ، شعب الإيمان ، ١ / ٤٤٧ .وانظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ، ٦ /١٢٤٥ ، وفتح الباري ١٢ / ١٦٣ ، وذكره إجماعا .

٤ – كما نقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٢ / ١٦٣ عن أبي اسحاق الزجاج ، وانظر : اللوامع للسفاريني ٢ / ١٨٤ ؛ وشرح النونية لابن عيسى ، ٢ / ٥٩٣ .

البطاقة حديث عبدالله بن عمرو المشهور الذي رواه الإمام أحمد وغيره بإسناد صحيح وفيه : " يُنشر رجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة فتخرج له سجلات مد البصر فيها ما عمل من سرف أي ما أسرف على نفسه، أُحصى عليه عمله فيقول الله له يا عبدي ألك حسنه فيقول ربي مالي حسنة ، لما رأى أن سيئاته أحصيت أعدت عليه في هذه السجلات التي مد البصر فيقول الله جل وعلى أنك اليوم لدينا لا تظلم ، فتخرج له بطاقة ولهذا سمى الحديث حديث البطاقة فيها لا إله إلا الله . قال ربي وماتصنع هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال له إنك اليوم لدينا لا تظلم ، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش البطاقة بالسجلات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يثقل مع اسم الله شيء [1] .

وليس معناها أنه لم يعمل عملا قط ؛ لكن لا إله إلا الله قالها معتقداً لها وهذا عمل القلب ، لكن أسرف على نفسه في الذنب إسرافا عظيما .

ونشر صحف الدواوين أحصاه الله ونسوه ، أحصاه بأن الله عز وجل أمر كتبته وملائكته الحفظة أن يجمعوا عمله . ما الذي تكتبه الحفظة ؟ تكتب الأقوال والأفعال . والاعتقادات . وهي من الأقوال والأفعال ، فسبق لنا قول القلب هو اعتقاد وأن عمل القلب كالنية والإخلاص والتوكل والخشية والخوف والاستعانة والاستغاثة هذا عمل القلب .

علم الملائكة للغيب

---

١ – أخرجه الترمذي ، رقم (٢٦٣٩) ؛ وابن ماجة ، رقم (٤٣٠٠) ، وصحح إسناده العلامة أحمد شاكر في تحقيق المسند ، رقم (٦٩٩٤) .

وهو فيه أن الملائكة تعلم من الغيب ما أعلمها الله إياه وهذا منه . كما في سورة الجن (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ [1]) . ورسول هنا نكرة تشمل رسولا من البشر ورسولا من الملائكة وأولى الملائكة هم الحفظة وقد جاء في الصحيحين [2] ، من حديث أبي هريرة أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : " يقول الله جل وعلى الملائكة انظروا إلي ما هم عبدي به فإن هم بحسنة فاكتبوها له حسنه " . الهم أين ؟ في القلب لكن أطلع الله الحفظة عليه فإن عملها فاكتبوها له عشرا وإن هم عبدي بالسيئة فاكتبوها له سيئة والهمّ هنا : بمعنى العزم لا المجرد الخاطر ، وهذه مسألة دقيقة فإن الخاطر ومنه حديث النفس فلا تثريب على هذه الأمة ، من هذا فإن الله تجاوز خصوصا لهذه الأمة عنه ، فإن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم . ولكن المراد بالهم العزم ، وهذا مثاله في الحرم (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ [3]). فإنه إذا همّ أي عزم على إلحاد في الحرم ناله وعيد الله ، إما إذا كان مجرد حديث نفس من دون عزم فإن الله تجاوز عنه ، فإن عملها فاكتبوها له سيئة فإن تركها من جرائي فاكتبوها له حسنه ، وإذا تركها من جراء الله أي خوفا من الله أو رجاء الثواب . ولهذا الملائكة تحصي على الإنسان عمله فتكتبه عليه ، وينشر عندئذ ، ولهذا قال من قال من السلف ويل لمن غلبت آحاده عشراته . فالسيئة غير مضاعفة إذا غلبت السيئة عشرات حسناته المضاعفة دل على كثرة سيئاته وقلت حسناته إلا سيئة واحدة فهي مضاعفة بقدرها لا بعددها ، وهي السيئة في الحرم فإن السيئة في الحرم تضاعف في كميتها وقدرها لا في عددها ، وإلا أمتن الله أن السيئة بسيئة .

---

١ – الجن : ٢٧ .

٢ – رواه البخاري ، (٧٥٠١) ؛ ومسلم ، رقم (١٢٩) .

٣ – الحج : ٢٥ .

يقول رحمه الله **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنه لو كان غير الله الحاكم ، لكنه يلى الحكم بينهم بعدله مقدار القائله في الدنيا** ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنه إشارة إلي أن هذا العدد ما يعقله الناس من سِني الدنيا من طوله ، لو تولى الحكم بين الخلق غير الله ، أما الله جل وعلا فإن هذا الحكم لا يأخذ منه هذا المقدار . بل يكون كالقائلة يعنى أعلى الضحى من النهار وهذه في حق المؤمن .

الأعداد في أدلة الشريعة :

وهذه مسألة في الأعداد ، والأعداد في الشريعة على ضربين : ١- أكثر الأعداد في ورودها في الوحيين لا مفهوم لها فلا يراد منها حقيقة المعدود ، ولهذا تأتي الروايات متباينة في العدد الواحد فالعدد هنا لا مفهوم كما يعبروا بذلك الأصوليون : بأنه لا المفهوم له لأنه لم يرد منه حقيقة المعدود ونظائره كثيرة مثل قول الله جل وعلا في براءة عن المنافقين " اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ [١] " يقول عليه الصلاة والسلام كما جاء في الحديث : " والله لو علمت أن لو أزيد على السبعين مرة فاستغفر لهم ليغفر لهم لاستغفرت لهم [٢]" . لو استغفر لهم النبي سبعه آلاف مرة يغفر لهم ؟ الجواب : لا ، فالعدد هنا لا مفهوم له ، وليس مرادا منه حقيقة المعدود ، وإنما جاء لبيان التكثير .

مثاله من السنة أحاديث كثيرة منها حديث أبي هريرة في الصحيح " الايمان بضع وسبعون شعبة وفي رواية في الصحيحين [٣] أيضا الإيمان بضع وستون شعبه " هل هذا تناقض ؟

حاشاه كلا ، وإنما المراد أن خصال الإيمان كثيرة إذ هنا العدد لا مفهوم له وإنما يُبان به كثر الشعب والخصال .

وهذه أكثر الأعداد خصوصا ألفاظ العقود : عشرون ، ثلاثون ، وأربعون ، خمسون ، ستون ، سبعون ، ثمانون ، تسعون ، مائة ، ومضاعفاتها .

---

[١] – التوبة : ٨٠ .

[٢] – رواه البخاري ، رقم (١٣٦٦) ؛ ومسلم ، رقم (٢٤٠٠) .

[٣] – رواه البخاري ، رقم (٩) ؛ ومسلم ، رقم (٣٥) .

٢-النوع الثاني

وتأتي أعداد من موارد الأدلة في الشريعة يراد منها حقيقة المعدود ، فصيام شهرين متتابعين لو صام شهرا وعشرين يوم لا يكفى ، وفي كفارة اليمين فإطعام عشرة مساكين لو أطعم تسعة ما يكفى ، فهنا يراد منها حقيقة المعدود ، وهذه منها كما ذكره هنا المزني ، وأُختلف فيها ، لأن هذه من المسائل التفصيلية ، ممن خالف فيها ابن القيم رحمه الله فإنه لما جاء في الأحاديث حديث الأوعال كثف كل سماء خمسمائة عام في بعضها بضع وستين سنه [١] . ابن القيم من توجيهه لها قال : هو اختلاف حال السْير فهذا التباين أرجعة إلي اختلاف السْير ، والظاهر – والله أعلم – أن هذا يرجع إل القاعدة السابقة في الأعداد . **وهو سبحانه أسرع الحاسبين** . أسرع الحاسبين لها معنين : أنه يعاجل بسرعة الحساب فلا يستبطئ به ، ولا يتعارض هذا مع الإمهال ، فإن الله يمهل عبده لعله يؤوب أو يتوب ، ومن سرعة الحساب يوم القيامة فلا يأخذ معه سبحانه إلا كالقائلة لأحدكم في الدنيا .

كما بدأه لهم أي : في التقدير من شقاوة وسعادة يومئذ يعودون فريق في الجنة ، وفريق في السعير أي : أنهم لن يخرجوا عنهما بحال من الأحوال ، كما سبق بها علمه وسبقت به كتابته وسبقت به إرادته من خلقه ، لن يخرجوا عنها بحال من الأحوال .

القدر والثواب والعقاب :

يأتي السؤال المهم : إذا كان قد سبق علم الله لأهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار فالثواب والعقاب على ماذا يقع ؟ الثواب والعقاب ليس على ما مضى به علم الله وتقديره ، وإنما الثواب والعقاب على ما يختاره المكلف بإرادته كما مضى تقديره سابقا ، فثواب الله لك وعقابه لك على ما تختاره بمحض إرادتك لا ما سلف به علم الله وتقديره ، ولهذا النظرة الأولى قدرها الله لك أما الثانية فعليك . كما قلنا في المنام يرى الإنسان أن يطأ ذات محرم أيحاسب على هذا ؟ فإنه لو وطأ في الشاهد تغلظ

---

[١] – حديث الأوعال رواه أبو داود ، رقم (٤٧٢٣) ؛ والترمذي ، رقم (٣٣٢٠) ؛ وابن ماجه ، رقم (١٩٣) ؛ وضعفه جمع من المحدثين منهم : ابن الجوزي في العلل المتناهية ، ١ / ١٢٤ ؛ وابن عدي في الكامل في الضعفاء ، ٧ / ١٩٨ ؛ والعقيلي في الضعفاء الكبير ، ٢ / ٢٨٤ ؛ والألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ، رقم (١٢٤٧) . وقد جاء للحديث طرق عديدة وشواهد .

في حقه العقوبة ، ولهذا واطئ ذات المحرم عقوبته أغلظ ، من وطئ الأجنبية من وطئ ذات محرم فاقتلوه ، لأن الشارع لما أمّن جانبه تعدى هذا الأمان حتى أسرف ، لأنه وقع باختياره بينما في المنام ما عليه إلا العافية فلا شي عليه ، حيث كان بغير اختياره . إذاً الثواب والعقاب لا على ما جاء في محض المشيئة والإرادة وإنما على محض ما يختاره المكلف بإرادته .

قال وأهل الجنة يومئذ في الجنة يتنعمون وبصنوف اللذات يتلذذون بأفضل الكرامات يحبرون ، والحبور هو كمال السعادة أعلى مقامات السعادة الحبور ، والآيات التي جاءت في نعيم أهل الجنة متكاثرة كما أن الآيات التي جاءت في عذاب أهل النار متكاثرة .

أجمع نصّ في نعيم الجنان :

أجمع ما جاء في النصوص في نعيم أهل الجنة هو في آية وحديث فجاء في الصحيحين قول النبي عليه الصلاة والسلام (أعد الله لأهل الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[١]) لو جمعت الخواطر كلها على قلوب البشر لكان في الجنة من النعيم ما يفوق ذلك وأقرءوا إذا شئتم (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ [٢]) . نسأل الله العظيم الواسع من فضله .

ومن أجمع ما جاء في الأدلة من بيان نعيم الجنة وعذاب النار قوله عليه الصلاة والسلام في الصحيح [٣] :" يؤتى يوم القيامة بأبأس أهل الأرض الذي ما رأي خيرا قط من شقاء إلي شقاء لم يمر عليه أنس قط فيغمس في الجنة غمسه مقدرها طرفة عين – يعنى جزء من الثانية – ثم يقال يا فلان هل مر عليك بؤس قط فيقول : والله يا رب ما مر على بؤس قط – أنساه طرفة عين في الجنة ما مر عليه بؤس في الدنيا ويؤتي بأنعم أهل الأرض الذي ما مر عليه شقاء ولا بؤس فيغمس في النار غمسة مقدارها طرفة عين ، فيقال يا عبدالله أمر عليك نعيم قط فيقول : والله يارب ما مر

---

[١] – رواه البخاري ، رقم (٣٢٤٤) ؛ ومسلم ، رقم (٢٨٢٤) .

[٢] – السجدة : ١٧ .

[٣] – رواه مسلم ، رقم (٢٨٠٧) .

على نعيم قط – أنساه غمسه في النار طرفة عين كل نعيم مر عليه – هل تطيق ذلك القلوب والعقول ؟ هل تستوعبه ؟ الشأن فوق ذلك بكثير ! ولهذا الفوز العظيم والنور الكبير ماهو ؟ أن تزحزح عن النار وأن تدخل الجنة " فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُور [1] " .

الرُّؤْيَة

١٣ – فهم حِينَئِذٍ إِلَى رَبهم ينظرُونَ لَا يمارون فِي النّظر إِلَيْهِ وَلَا يَشكونَ، فوجوههم بكرامته ناضرة ، وأعينهم بفضله إِلَيْهِ ناظرة ، فِي نعيم دَائِم مُقيم و { لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ [2] } (أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) وَأهل الْجحْد { كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ [3] } وَفِي النَّار يسجرون { لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ [4] } و { لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ [5] } الْآيَة خلا من شَاءَ الله من الْمُوَحّدين إخراجهم مِنْهَا .

ما يميز أهل السنة والجماعة عن غيرهم أن كلامهم جار بالدليل . فهم أهل القرآن وأهل الأثر ، وأما غير أهل السنة فكثير كلامهم عديم بركته ؛ قيل وقال من غير بركه ، هذا وقد وقفت على كتاب لأحد أساطين المتكلمين مطبوع متداول من أوله إلى أخره ما فيه ولا أية ، وهو في كتاب الاعتقاد في قواطع الأدلة ، ما فيه ولا آية لماذا ؟ لاستغنائهم عن وحي الله بزبالات الأفهام وبنحاتات الأفكار، وأفكار أهل

---

[1] – آل عمران : ١٨٥ .

[2] – الحجر : ٤٨ .

[3] – المطففين : ١٥ .

[4] – المائدة : ٨٠ .

[5] – فاطر : ٣٦ .

الردي . كلام المزني هنا اقتباس من القرآن . ذكر رحمه الله هذه المسألة الجليلة رؤية الله .

مقامات رؤية الله :

ورؤية الله لها ست مقامات جاءت في رؤية الله كما دلت عليها الأدلة . ١- رؤية الله في الدنيا لن يراه أحد ، لما في الصحيحين [1] من حديث أبى موسى مرفوعا : " واعلموا – وفي رواية – وتعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت " . لماذا غير ممكنه ؟ ليست لخفاء المرئي لكن لعجز الرائي .

٢- المقام الثاني رؤية الله في المنام في الدنيا هذه ممكنه بل حكى الاجماع عليها غير واحد كالنووي وابن العطار وابن تيمية وغيرهم [2]، فيها حديث معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله علية وسلم " رأيت ربي في أحسن صورة .. [3]) وأشترط لها العلماء شرطين : ١- أولا لا أن يعتقد أن الله في نفسه في ذاته في صفاته كما رآه الرائي في منامه لأن المنام ضرب أمثال فمن كان معطلا يرى الله باعتقاد التعطيل ، ومن كان مشبها يرى الله باعتقاد التمثيل والتشبيه .

٢- الشرط الثاني أن هذا المنام لا ينبني عليه زكاة ولا عذاب ، إنما هي ضرب مثَل ، ومن حكى الإجماع على ذلك : أبو حامد الغزالي والقاضي عياض والنووي وشيخ الإسلام بن تيمية .

وذكر عن أبي حنيفة قال : رأيت ربي مائة مرة ، والإمام أحمد في وقت المحنة فقال : رأيت ربي فقلت ياربي ما أفضل ما تقرب العباد به إليك ؟ قال كلامي يا أحمد . قال بفهم و بغير فهم ؟ قال بفهم وغير فهم .

٣- المقام الثالث : رؤية النبي عليه الصلاة والسلام لله في ليلة المعراج وهذه وقع فيها الاختلاف وهذه مسألة من مسائل العقيدة وأنتم تقولون أن العقيدة ما فيها خلاف كيف الجواب على ذلك ؟

---

[1] – رواه البخاري ، رقم (٣٤٣٩) ؛ ومسلم ، رقم (١٦٩) ، واللفظ لمسلم .

[2] – انظر : مجموع الفتاوى، ابن تيمية ، ٣ /٢٩٠ ؛ شرح السنة للبغوي ، ٢٧٧/١٢ .

[3] – رواه الدارمي ، رقم (٢١٩٥) ؛ وصححه الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم (٣١٦٩) .وانظر : اختيار الأولى ، لابن رجب الحنبلي ، ١ / ٤٠ .

يقال أن في العقيدة تفاصيل وهذه يقع فيها خلاف، ومن التفاصيل منها هذه المسألة لأنها مما يتطرق إليه الاجتهاد كمسألة الشهادة للمعين ، إذاً تفاصيل بعض مسائل العقيدة يقع فيها الخلاف فيكون مناطه ومداره كالاختلاف في المسائل الفقهية الفروعية .

النبي صلى الله عليه وسلم في أصح القولين لم يرى ربه ليلة المعراج بعيني رأسه كما قال جل وعلا " لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [1] " وما في حديث عائشة [2] لما سألها مسروق قال يا أماه أرأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج قالت : لقد أوقفت شعري ما قلت ! من أخبرك أن محمد رأى ربة فقد أعظم على الله الفرية " وفي حديث أبي ذر في مسلم [3] أنه قال يا رسول الله أرأيت ربك ليله المعراج ؟ قال نور أني أراه وفي رواية قال رأيت نورا وفي رواية ثالثة قال رأيت نارا ". وهذا الحجاب الذي بين الله وبين خلقه ، إذاً الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعيني رأسه وإنما رآه بعيني قلبه . وما أختلف فيه عن بن عباس رضي الله عنهما فإن أكثر الروايات وأصحها أنه قال رأى ربة وجاءت مفسرة بأنه رآه بعينى قلبه ، وما جاء عن أحمد كما في أصول السنة له وعن غيره محمول على هذا ، ولا تتحمل المسألة كثير القيل والقال أو النزاع ٤- المقام الرابع : الكفار لا يرون الله جل وعلا في الآخرة وأصرح ما فيه أيه المطففين " كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ [4] " . جاءت إلي الإمام الشافعي وهو في فسطاط مصر رقعة من الصعيد يسألونه عن هذه الآية قال رحمه الله : لما حجب أعداءة في السخط دل على أن أولياءه يرونه في الرضا ، ويروى نحوه عن الإمام مالك رحمهم الله ، وهذا من مفهوم المخالفة ومذهب الأمام الشافعي اعتباره خلافا للحنفية ، كما في الأصول ولهذا يستدل أهل السنة بآية المطففين على رؤية الله .

---

[1] – الأنعام : ١٠٣ .

[2] – رواه البخاري ، رقم (٤٨٥٥) ؛ ومسلم ، رقم (١٧٧) .

[3] – أخرجه مسلم ، رقم (١٧٨) .

[4] – المطففين : ١٥ .

٤–المقام الخامس رؤية المنافقين لله ، وسيرى المنافقون الله في عرصات القيامة رؤية حسرة وندام لا رؤية نعيم ودليلها حديث أبي سعيد الطويل الذي [١] فيه تفسير قول الله يوم القيامة " يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ، خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ [٢]" في الدنيا . وفي حديث أبي سعيد الطويل : " تتبع كل أمة ماكانت تعبد فيبقى الأمة فيهم مؤمنها وفيهم منافقوها ، فيأتيهم ربهم جل وعلا بصورة غير الصورة التي يعرفونه بها و ما هي الصورة التي تعرفونه بها ؟ أنها صفاته وأسماؤه التي تعرف بها إلينا وعرفنا به أعرف خلقه به نبينا صلى الله عليه وسلم ، وهذا له نظير في الدنيا . الدجال يَدعي أنه رب العالمين ، وهو أعور هل يخفى شأنه عن المؤمنين ؟ الجواب : لا يخفى لأن صورته غير صورة رب العالمين ، ولأن الله لا يرى في الدنيا يقال أنت لست ربنا – وهذا قالوا : انه امتحان خاص – فقالوا : إنك لست ربنا ، وإلا الآخرة ما فيها تكليف لكن هذا امتحان خاص ، فيأتيهم جل وعلا بصورته التي يعرفونها ، ويكشف عن ساقه ، فيخر المؤمنون سجدا لرب العالمين ، ويذهب المنافق يريد أن يسجد فيصبح ظهره كالخشبه فلا يستطيع السجود ، إذا رأي المنافق ربه لكن رؤية عذاب وحسرة ، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة .

٥–المقام السادس : رؤية المؤمنين لله وهم في عرصات القيامة ، وفي الجنة وأكملها وأعظمها في يوم المزيد ، ما يوم المزيد ؟ هو يوم الجمعة هذه أكمل رؤية لأهل الجنة لربهم ، وكُمّل المؤمنين في الجنة من ذوي الدرجات العلى يرون الله غدوه وعشية في الجنة ، وهو أعظم نعيم يُنيله الله عز وجل لأوليائه المؤمنين في الجنة أن يكشف الحجاب عن وجهه فيرونه وترتد النظر وهي

---

[١] – رواه البخاري ، رقم (٤٥٨١) ؛ ومسلم ، رقم (١٨٣) .

[٢] – القلم : ٤٣ .

البهاء والحسن والكمال على وجوههم من أثر هذه الرؤية وأصرح ما فيها هي آية القيامة " **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** [١]" .

أصرح آية في القرآن الكريم عن الرؤية :

هذه الآية هي أصرح ما في القرآن للرؤية لماذا ؟ لثلاثة أوجه :

١- الوجه الأول أنه أضاف النظر للوجه المشتمل على مقل العيون ولم يقل قلوب يومئذ ناضرة .

٢- الوجه الثاني أنه عدّ النظر بإلي ، والنظر إذا عدي بإلى في لغة العرب لا يحتمل إلى المعاينة بالبصر ، (**انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ** [٢]) ، وانظر إلى الشمس ، وإلي القمر ، وإلى المسجد إي عاينه بعينيك ، بينما إذا تعدى بفى فمعناها على ، وإذا تعدى النظر بنفسه فهو التفكر والاعتبار" **أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** " .

٣- الوجه الثالث في صراحة هذه الآية أنه أخلى الآية من قرينه صارفه عن هذا المعنى الظاهر ، من دلال رؤية الله آية سورة يونس " لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ [٣]) . وما الزيادة ؟ فسرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح أنها النظر إلي وجه الله عند مسلم [٤] عن صهيب رضى الله عنه .

كذلك في قول الله جل وعلا في ق " لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ [٥]"، والمزيد بالاجماع هو رؤية الله في الدار الآخرة آية المطففين الأولى و " كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ [٦] " دليل رابع وهو ما قاله الشافعي لما حجب أعداؤه سخطا دل على أن أولياءه يرونه رضا وفي حال

---

[١] – القيامة : ٢٣ .

[٢] – الأنعام : ٩٩ .

[٣] – يونس : ٢٦ .

[٤] – أخرجه مسلم ، رقم (١٨١) .

[٥] – ق : ٣٥ .

[٦] – المطففين : ١٥ .

الأبرار " عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ، تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ [1] " فإن هذه مفسرة بآية القيامة ، فأعظم ما يظهر من نظرة النعيم هو ماذا ؟ رؤية الله .

قال المنحرفون المعطلون لهذه الصفة من الجهمية والمعتزلة في معنى الآية : إنهم ينتظرون الثواب ، تحريفاً للكلم عن مواضعه ، وتحريف لمعنى كلام الله عن مواضعه ، لأنهم ما أطاقوا أن يثبتوا أن الله يرى ، وهذه المسألة لصراحة أدلتها أثبتها الأشاعرة ، فقالوا إن الله يُرى لكن تناقضوا ، لما نفوا العلو فقالوا إن الله يُرى لا فى جهه ، فانشغل بهم المعتزلة قالوا كيف يُرى لا في جهة لا أنتم وافقتمونا في نفي الرؤية والعلو . ولا أنتم وافقتم أهل السنة في إثبات الرؤية واثبات العلو ، فاشتغل بهم وأفحمهم المعتزلة . لمخالفته الصريحة لبداهة العقول .

طَاعَة الْأَئِمَّة والأمراء وَمنع الْخُرُوج عَلَيْهِم

١٤ – وَالطَّاعَة لأولي الْأَمر فِيمَا كَانَ عِنْد الله عز وَجل مرضيا ، وَاجْتِنَاب مَا كَانَ عِنْد الله مسخطا ، وَترك الْخُرُوج عِنْد تعديهم وجورهم وَالتَّوْبَة إِلَى الله عز وَجل كَيْمَا يعْطف بهم على رعيتهم .

هذه المسألة تسمى مسألة الجماعة والإمامة ، ولماذا تكلم العلماء في هذه المسألة مع أن بابها وموضعها الفقه والسياسة الشرعية ، ولماذا أوردها العلماء في هذا المقام ؟

الجواب لعدة أوجه : أولا : لأن الله أمرنا بطاعة ولي الأمر أمر بها : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** [2]) .

ثانيا : لأن الأحاديث فيها بلغت مبلغ التواتر.

ثالثا : ولأنه خالف فها أصول أهل الأهواء والبدع .

---

[1] – المطففين ، ٢٣ و ٢٤ .

[2] – النساء : ٥٩ .

وأشهر من خالف فها ثلاث طوائف : ١- منهم الخوارج فمن دينهم نزع اليد والخروج على إمام الجور ؛ لأنه كفر بجوره وظلمه وتعديه ، ٢- والطائفة الثانية : المعتزلة فمن أصولهم أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعناه الخروج على ولاة الجور إن قدروا على ذلك وفيها نكته أفطن لها ياطالب العلم : هذا القول للمعتزلة لم يَبد ولم يندثر ! إنما ظهر لهم ورّاث في الخروج على أئمة الجور إذا قدروا على ذلك ، وهم حزب التحرير فإنه يعيد قول المعتزلة في هذا جذعا ، ومن تأثر بهم من الجماعات السياسية أيضا أن ولاة الجور والاستئثار، إن قدرنا على الخروج عليهم خرجنا كما قالته المعتزلة ! وهذا فيه المعنى المقرر في المقالات أن لكل قوم وارث ، فقد تبيد الفرقة لكن لا تبيد عقيدتها .

الطائفة الثالثة : الرافضة الذين جعلوا الإمامة في السمع والطاعة للمعصومين فقط حتى أحدثوا بدعة " ولاية الفقيه " وهي من أصول بدعهم التي اضطربوا عليها ، ولو فقه لهذا أهل السنة لضربوا على هذ الوتر في التفريق بينهم لكن لم يستبصروا بمذهب الرافضة حتى يقفوا على هذا الخلاف العظيم الذي يحدث شرخاً عظيما فيهم ،بالمناسبة فالرافضة اكثر افتراقا من السنة .

هذه المسألة مسألة الإمامة والجماعة خلاصتها عند أهل السنة بثلاثة جمل ، فمن أصول أهل السنة في هذا الباب أن لا جماعة إلا بإمام ، ولا جماعة يمكن أن تكون إلا بإمام ، ولا إمام إلا بالسمع والطاعة بالمعروف .

وفيها آية النساء وفيها ما جاء في الصحيحين [١] من حديث أبي ذر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : " من يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن أطاعني أطاع الله ، ومن يعص الأمير فقد عصاني ، ومن عصاني فقد عصى الله " ، وطاعة الأمير ولاة الأمور ليست مطلقة وإنما مقيدة بطاعة الله ورسوله وهي بالمعروف .

وأولى الأمر صنفان هما :١- العلماء ، فيطاعون في دين الله ولهذا فرض العامي أن يقلد شيخه والذي وثق به ، والأمراء يطاعون في دين الله في سياسة أمر الناس

[١] – روا البخاري ، رقم (٢٩٥٧) ؛ ومسلم ، رقم (١٨٣٥) .

بالمعروف ، وليست طاعة مطلقة وفيها ماجاء في الصحيحين [1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : " أنه من رأي من أميره شيئا يكرهه فليصبر ، هذا واحد ، ولا ينزعن يداً من طاعة هذا اثنين ، وليكره ما يأتي من معصية الله هذه ثلاثة ، فإن مات وليس في عنقه بيعة فمات فميتُةُ جاهليه هذه رواية ، الثانية فميتةٌ جاهلية ، وفي الرواية الثالثة فميتته جاهلية ، وكل هذه الروايات في الصحيحين ولهذا يذكرها العلماء في مثل هذه المقامات .

يقول المزني رحمه الله : وترك الخروج عند تعديهم وجورهم والتوبة إلي الله . هذا المعنى قل أن يفطن له خصوصا في مقام حقوق ولى الأمر . فإذا تعدو أو جاروا وظلموا وعطلوا فإلى ماذا نفزع ؟ أعظم ما تفزع إليه أن نتوب إلى الله لأننا بلينا بجورهم بذنوبنا وبسبب تقصيرنا، هذا شأن أهل السنة ؛ لأن الذي يترتب على الخروج عليهم مفاسد أعظم من الصبر على جورهم وظلمهم وتعديهم ، والأدلة تشهد بذلك ، ويؤيدهم الواقع بتاريخ المسلمين .

الخروج على الحكام الظلمة :

فالصبر على جور الإمام وظلمه أقل مفسدة من الخروج عليه ، ولا يصح الخروج عليه ، إلا أن نرى الكفر البواح البيّن الظاهر ، الذي لنا فيه من الله برهان مع وجود القدرة عليه ، فإن رأينا كفرا بواحا لكن ما فيه قدره فإن الخروج يسقط عنا بالعجز وهذا ما بسطة العلماء في كتب السياسة الشرعية ، بسطوه بسطا واختلفوا في هذه القدرة حتى قال بعضهم : لو بقى الثلث وهلك الثلثان ، وهذا أبعد ما قيل .

لكن الصحيح فيه أنه يقدرها في كل زمان علماؤها بما يجرون فيه المصالح هذا في حال الكفر البواح فما دونه فعلينا بالصبر ؛ إذا الكفر غير البواح نصبر ، فما دونه من الكبائر نصبر ، وأعظم ما يعالج به الصبر أمران التوبة إلي الله جل وعلا ، وثانيا مناصحته هذا الذي ولاه الله أمرنا .

المناصحة للإمام سرا وجهراً :

---

[1] – رواه البخاري ، رقم (٧٠٥٤) ؛ ومسلم ، رقم (١٨٤٩) .

والأدلة الشرعية دلت على كون المناصحة لولي الأمر تكون بينك وبينه أي مناصحته أصلها أن تكون سرا ، لكن ثمة حالات وأحوال ، يكون شأن المناصحة علناً وتكون علنا في المقامات التي يناسب فيها العلن كما جاء عن بعض الصحابة رضي الله عنهم مع ولاتهم سواء ولاة العظماء أو نوابهم ، والذي يقدر هذا في كل زمان أو حاله هم العلماء فيما يحقق المصالح ويدفع المفاسد . فإذ لم يتبعوا هذا ولا هذا رفع الله عنك الحرج فاصبر. وهذه مسألة جليلة يا إخوان ينبغي على الأئمة والخطباء أن يبينوها للناس ، فما عندنا شيء خفي ،و ما عندنا مواربة ، وهذا ديننا الذي ندين الله عز وجل به .

الْإِمْسَاك عَن تَكْفِير أهل الْقبْلَة

١٥ – والإمساك عَن تَكْفِير أهل الْقبْلَة ، والبراءة مِنْهُم فِيمَا أَحْدَثُوا مَا لم يبتدعوا ضلالا ، فَمن ابتدع مِنْهُم ضلالا كَانَ على أهل الْقبْلَة خَارِجا ،ومن الدّين مارقا ، ويتقرب إِلَى الله عز وَجل بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُ ، ويهجر ويحتقر وتجتنب غدته فَهِيَ أعدى من غُدَّة الجرب .

أنواع الكفر :

وهذا خلاصة كلام المزني أما التكفير فإنه نوعان : ١- تكفير مطلق ٢- وتكفير معين .

ولا نكفر بالإطلاق إلا من كفر الله ورسوله جنسا أو وصفا : جنساً كاليهود المبدلة والنصارى المحرفة ، والمشركين والصابئة والمجوس والوثنية ، ومن على شاكلتهم ونكفرهم جنسا .

فنكفير الوصف من قام به وصف الكفر بناءاً على المأخذ الشرعي فالمستهزأ بالله وبرسوله وبدينة ، كفّره الله وصفا في آية براءة ، فالساب لله ولرسوله ولدينه كافر بهذا الوصف ، والتارك للصلاة كافر بوصف النبي عليه الصلاة والسلام وبآيتي براءة "

فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ [1] " إذاً هذا الكفر الوصفي ، والكفر الوصفي والجنسي يتعلقان بغير المعينيين .

٢- النوع الثاني تكفير المعين بأن فلان بن فلان كافر ولا يصح تكفيره بعينه إلا من صنفين : أولا القضاة الشرعيون الذين أقامهم ولى الأمر لإنفاذ أحكام الله ، ثانيا : العلماء الراسخون ، أما غير هذين الصنفين فلا يجوز .

ولما خاض في التكفير المتعالمون والصغار والسفهاء وحدثاء الأسنان فكانت هذه النتيجة !

شروط موانع تكفير المعين :

الأمر الثاني لا يقع تكفير المعين إلا باجتماع شروطه وانتفاء موانعه وجملة هذه الشروط والموانع أربعة . سأذكر الشرط ومانعه على جهة الاختصار .

الشرط الأول : العلم ، من يقع في الكفر عالما به والمانع الجهل ، فالذي وقع في الكفر جاهلا نقول هذا كفر أكبر لكنه بعينه لا يكفر لأنه وقع به جاهلا .

الشرط الثاني : الاختيار أن يقع في الكفر الأكبر مختارا وضد الاختيار الإكراه وفيها آيه النحل " مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ [2] "

الشرط الثالث : التكليف أن يقع في الكفر الأكبر مكلفا وضدها عدم التكليف بعدم العقل أو بعدم البلوغ ، مثاله لو دخل عليكم واحد وقال يا جماعة ترى أنا رسول الله إليكم . حيث ادعى النبوة ماذا تصنعون به ؟! تذهبون به إلي المستشفى لأنه غير مكلف عنده انفصام في الشخصية ، أو يكون طفل صغير لا يعي ما يقول ؛ وهذا كفر أكبر لكن هذا بعينه لا يكفر لوجود مانع عدم التكليف .

الشرط الرابع – وهذا هو أعظمها الذي يقع فيه الاعتراك – **وهو القصد** ، أن يقع في الكفر الأكبر قاصدا ، وضد القصد الخطأ ، ومن الخطأ التأويل ، والأصل فيه حديث الرجل [3] الذي ذهبت راحلته في الصحراء فإنه لما وجد راحلته بعدما أيقن

---

[1] – التوبة : ١١ .

[2] – النحل : ١٠٦ .

[3] – رواه البخاري ، رقم (٦٣٠٩) ؛ ومسلم ، رقم (٢٧٤٧) ، واللفظ لمسلم .

بالهلكة غفت عيناه ثم صحى وخطامها يتدلى أمام عينية أخذها فقال : من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك . قال كُفر أم قال إيمانا ؟ قال كفر أكبر لكنه لم يكفر به لأنه لم يقصد وإنما أخطأ بلفظه لا بقصده .

هذا وقد ألحق العلماء بالخطأ التأويل ، فإذا وقع في الكفر متأولاً مثاله في حديث أسامة بن زيد في قتله المؤمن متأولاً ومثاله ، من أنكر علو الله على خلقه من أهل العلم المحدثين والمفسرين وغيرهم مؤولون فلا نقطع بتكفيرهم بعينهم وإنما نقطع بتضليل هذا المقطع لوجود مانع التأويل .

البدعة وأنواعها :

البدعة بدعتان أصل البدعة ما جانب السنة . السنة بمعنى العقيدة معناها السنة الثابتة مما أحدث كما في حديث عائشة في الصحيحين [1] مرفوعا " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " وفي لفظ مسلم من عمل عملا ليس عله أمرنا فهو رد [2] " ، فالبدعة بدعتان – من حيث الحكم – : ١– بدعة مكفرة من قارفها كفر ،وهي على ثلاثة أصول : أ– بدعة اعتقاديه كبدعة سب الصحابة ، وبدعة أن القرآن مخلوق ، أو أن الدين لم يتم ، ج– أو بدعة نفي الصفات هذه مكفرة .

ب–وبدعة مكفرة بالقول : مثل سب الله ، وبدعة وحدة الوجود : يقول أن الوجود واحد لا فرق بين الخالق والمخلوق !

ج– وبدعة مكفرة بالفعل كخروج الخوارج ، وتكفيرهم المسلمين ، فإن أظهر قولي العلماء في الخوارج أنهم كفار.

النوع الثاني بدعة مفسقة تسمى – كما في كلام المزني بالمظللة – ، يُظلل بها صاحبها ولا يكفر ، وهذه أكثر البدع في الاعتقادات ، وتكون في ألأقوال كالأذكار البدعية ، وتكون بالأفعال كعبادات بدعية ولا يكفر بها لكن يضلل .

معاملة المبتدع :

---

[1] – رواه البخاري ، رقم (٢٦٩٧) ؛ ومسلم ، رقم (١٧١٨) .

[2] – البخاري ، رقم (٢٦٩٧) ؛ ومسلم ، رقم (١٧١٨) .

والمبتدع يعامل – كما أشار رحمة الله – إلي أن المبتدع يعامل بما أنه خارج من الدين خروج بالرأي إلي أن يخرج بالفعل بالبراءة منه حال فعله ، وليس بالبراءة من كل ما عنده ، ولهذا هذه اللفظة مجملة فإن كان كافراً براءة منه بكفرة ، وإذ كان مضللا بالبراءة من بدعته ، وهجره عليها أي حال البدعة ، إذا كان الهجر ينفع معه وفي حاله ؛ فإن كان الهجر يزيده سوءاً ويزيده ضرراً فلا يُهجر ، لأن هجر المبتدع ليس عبادة بذاتها وإنما عبادة مناطه بمصلحتها ، والذي يقدّر ذلك هم العلماء . ولهذا قال السلف في هجر المبتدع فر منه فرارك من المجروب ، وقالوا لا تسمع للمبتدع . وهجر صاحب البدعة لا يتحدد بالأيام الثلاثة كما ذكروا في هجر العاصي فإن الثلاثة الذين خلفوا هجرهم النبي خمسين ليلة . وهذا أصل في هجر المبتدعة وأصحاب الكبائر أن لا يتحدد بمدة ، بل بما يرتدعون به ويكف شرهم ، فهو دائر مع المصلحة وجوداً وعدماً .

والهجر يرجع إلى تقدير ولى الأمر والعالم أو من يطاع فيها إلى حصول المصلحة ، من هجرة كان؛ فإن كان هجر يزيده طغيانا وضررا على المسلمين لا يهجر وهذا كما يقال في البدعة يقال أيضا في المعصية .

موقف السلف من بدعة علم الكلام :

من أعظم البدع التي بلى بها المسلمون علم الكلام . ما موقف السلف منه ؟

علم الكلام طال الاعتقاد وطال الأقوال وطال الإعمال ، موقف السلف منه بخمسة أمور : ١- ذموه وعابوه ٢- وهجروه ، هجروا صاحبه ، ٣- عزروا صاحبه ، حتى قال أبويوسف صاحب أبي حنيفة على أهل الكلام إن يضربوا بالجريد والنعال ، ويشهر بهم بين القبائل والعشائر ، فهذا جزاء من اخذ بالكلام وخالف الكتاب والسنة ٤- اعتبروه جهلا لا علماً ، ٥- الخامس أنهم لم يعودوه إذا مرض ، ولم يشهدوا جنازته تعزيرا له ولأمثاله ، نعم لم يقطعوا بكفرة لكن لم يشهدوا جنازته لئلا يستمرأ الناس هذه البدعة .

الصَّحَابَة :

١٦ – وَيُقَال بِفضل خَلِيفَة رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أبي بكر الصّديق رَضِي الله عَنهُ ، فَهُوَ أفضل الْخلق وأخيرهم بعد النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ، ونثني بعده بالفاروق وَهُوَ عمر بن الْخطاب رَضِي الله عَنهُ فهما وزيرا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وضجيعاه فِي قَبره وجليساه فِي الْجنَّة ، ونثلّث بِذِي النورين عُثْمَان بن عَفَّان رَضِي الله عَنهُ ، ثمَّ بِذِي الْفضل والتقى عَليّ بن أبي طَالب رَضِي الله عَنْهُم أَجْمَعِينَ

ثمَّ البَاقِينَ من الْعشْرَة الَّذين أوجب لَهُم رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم الْجنَّة ونخلص لكل رجل مِنْهُم من الْمحبَّة بِقدر الَّذِي أوجب لَهُم رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم من التَّفْضِيل ، ثمَّ لسَائِر أَصْحَابه من بعدهمْ رَضِي الله عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

يشير المزني رحمه الله في هذا الموضع إلى الصحابة رضي الله عنهم وفضلهم ، والصحابة هم الذين صحبوا النبي عليه الصلاة والسلام ولو لحظه وكانوا مؤمنين وماتوا على ذلك ، والصحابة – رضي الله عنهم – درجاتهم في الفضل يمكن تقسم إلى سبع درجات لان الله جل وعلا ميزهم فقال في أية براءة (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ [١]) فنص على فضل السابقين الأولين والمهاجرين والأنصار، و المهاجرون في جملتهم أفضل من الأنصار وكلهم لهم شرف الصحبة ، وشرف الصحبة أنهم عدول بهذه الصحبة " الله الله في اصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فحبي أحبهم [٢] " نحب الصحابة لأنهم أولا آمنوا وصحبوا النبي عليه الصلاة والسلام ، فبهذا أوجب لهم بالإيمان وصحبه النبي المحبة ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم " .

---

[١] – التوبة : ١٠٠ .

[٢] – رواه الترمذي ، رقم (٣٨٦٢) عن عبدالله بم مغفل ، وقال الترمذي ، غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ؛ وضعفه الألباني ، صحيح الجامع الصغير ، رقم (٣٠٨٥) .

درجات الصحابة في الفضل :

درجاتهم في الفضل إجمالا : ١- السابقون من المهاجرين . ٢- السابقون من الأنصار : وهم من أسلموا قبل بدر . ٣- من هاجر بعد بدر وقبل الحديبية . ٤- من أسلم من الأنصار بعد بدر وقبل الحديبية . ٥- من هاجر بعد الحديبية وقبل الفتح . ٦- من أسلم من الناس بعد الحديبية وقبل فتح مكة . ٧- من أسلم بعد فتح مكة . و أفضل الصحابة العشرة ، وأفضل العشرة الاربعة الخلفاء ، وأفضل الخلفاء وأفضل ألامه كلها بعد النبي عليه الصلاة والسلام أبو بكر ، وهذا مقطوع به مجمع عليه عند أهل السنة ، بل أجمع العلماء على أفضل إتباع الأنبياء قاطبة هو الصديق أبو بكر لما في الصحيحين كنا نقول أفضل الناس بعد رسول الله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نمسك وفضل الصديق وعمر مما لا يخفى عند من قرأ الأثر ودرس السنن وعلم ما جاء فيهما من الفضل العظيم الذي يضيق المقام عن ذكره ، ثم عثمان وهو المثلث بهذا التفضيل . عثمان هو ثالث الثلاثة ويلقب بذي النورين لنكاحه بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا رقيه ، ورقيه ماتت عند مرجعه من غزوة بدر ، ثم أنكحه أم كلثوم رضي الله عنها فماتت في السنة التاسعة فقال صلى الله عليه وسلم مثنياً على عثمان " لو كان لنا ثالثة لزوجناها لعثمان [١] " وهذه فضيلة لو لم يأتى في فضل عثمان إلا هذا لكان كافيا .

ويربعون بعلي بن أبي طالب .

حكم من فضل علياً على عثمان رضي الله عنهما :

وقد عاب السلف من فضّل علياً على عثمان ، عابوه وذموه وعدوه شيعياً ؛ فان فضّل عليا على الشيخين من غير مسبة حكموا عليه بأنه شيعىً غالٍ، كما ذكره الذهبي في مقدمة الميزان .

فان سب أحدا من الثلاثة فهذا يسمى بتسميه السلف له رافضي وأول من سماهم كذلك زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب .

---

١ – رواه أحمد ، فضائل الصحابة ، رقم (٧٨٢) ؛ والطبراني ، المعجم الكبير ، رقم (٤٩٠) ؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٨٣) ، وفيه الفضل بن المختار وهو ضعيف .

ومن فضل علياً على عثمان فقد أزدرى بالمهاجرين والأنصار كما قاله أيوب السختياني ، يقول عبد الرحمن بن عوف إنى نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان ، والمقصود بالناس البقية الباقية من المهاجرين والأنصار . ومن قدم علي على عثمان ازرى بمن قدموا عثمان على علي ، والذين قدموهم هم المهاجرين والأنصار .

يأتي بعدهم الستة بقيه العشرة : سعد بن أبى وقاص و سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل و عبد الرحمن بن عوف و الزبير بن العوام و طلحه بن عبيد الله وأبو عبيده عامر بن الجراح ، وكلهم هؤلاء العشرة من سابقة المهاجرين يليهم بقيه السابقين من المهاجرين ممن هاجروا قبل بدر ، يليهم من آمن من الأنصار قبل بدر ، يليهم من آمن من المهاجرين بعد بدر وقبل الحديبية وقبل فتح مكة ، وهذا التقسيم لأنه حصل بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ما يحصل بين الناس فاستبا ، وثبت في الصحيحين قول النبي عليه الصلاة والسلام " لا تسبوا أصحابي فو الله لو انفق أحدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه [١]" فثمن صاع الصحابة من طعام ، أفضل من فيما لو انفق مثل أحد ذهبا ، وهذا يدل على شرف الصحبة وهذه رتبه لا يبلغها العامل مهما بلغ فى علمه وفى عمله . ويلي الصحابة في الفضل أصحاب الأنبياء كحواري عيسى وأصحاب موسى وهم يأتون رتبة بعد أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام .

وخالد بن الوليد ممن آمن بين بدر وبين الحديبية وعبد الرحمن بن عوف آمن قبله فكان بهذا الاعتبار أفضل منه .

هؤلاء وجه تفضيل بعضهم على بعض ، وللجميع رضي الله عنهم فضل الصحبة .

حكم سب الصحابة رضي الله عنهم :

لما استقر فضل الصحابة وشرف الصحبة ومانالوا من ثناء الله عليهم ، ومدح النبي ﷺ تأتى مسألة هنا وهى مسألة سب الصحابه ، والسب كلمة عامه تشمل وصفهم بالوصف الردى وتشمل الإقذاع ، كما وتشمل اللعن ، وايضاً تشمل التكفير كل هذه

---

[١] – رواه البخاري ، رقم (٣٦٧٣) ؛ ومسلم ، رقم (٢٥٤٠) .

الأربع مشمولة في السب . ما حكم سب الصحابة ؟ خلاصه ما يقال فيه إن سب الصحابة ينقسم إلى أقسام ثلاثة : ١- فان سبهم كلهم أو جُلهم فهذه رده بحد ذاتها عن دين الله لماذا ؟ لأنه سب من أثنى الله عليه واثنى عليهم رسوله ، فسبهم يومئذ اعتراض وتعقب على الله وعلى رسوله .٢- المقام الثاني إن يسب من جاء فيه فضل خاص كالصديق وعائشة وعمر وأسامه بن زيد وسعد بن معاذ ...وأمثالهم ، فكل من جاء فيه فضل خاص في القران أو في السنة فسبّه ردّه ، لأنه اعتراض على الله وعلى رسوله . ٣- أن يسب سبا دون اللعن ودون التكفير لأحد أطراف الصحابة من لم يأت فيه فضل خاص كان يسب_عيينه بن حصن الفزارى ، أو عياض بن حمار المجاشعى ،وهكذا سب كل من لم يأت في عينه فضل خاص ، فهذه كبيرة من كبائر الذنوب أشنع وأفظع من مسبة عامة المؤمنين .

أما إذا كفرة أو لعنه فالأصل أن تكفيره ولعنه كفر ؛ لأنه ناشي عن بغضاء في قلبه والصحابة أنما حاز هذه المرتبة لصحبته للنبي عليه الصلاة والسلام هذا مختصر لهذه المسالة الجليلة .

وَيُقَال بفضلهم ، ويذكرون بمحاسن أفعالهم ، ونمسك عَن الْخَوْض فِيمَا شجر بَينهم فهم خِيَار أهل الأَرْض بعد نَبِيّهم ارتضاهم الله عز وَجل لنبيه ، وخلقهم أنصارا لدينِهِ فَهم أَئِمَّة الدّين وأعلام الْمُسلمين فرَحْمَة الله عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ .

هذه مسألة جليلة وهى ذكر محاسنهم والثناء عليهم ومدحهم لان الله الذي مدحهم " لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ [١] " ، " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ [٢] " هذا مدح الله لهم فكيف لا نمدح ولا نثني على من مدحه الله واثنى عليه ، وذكر فضائلهم، ومن محاسنهم أن لا يكون في قلبك أيها المؤمن غل ولا حقد ولا بغضاء ولا شنئان على الصحابة ، وأصرح ما فيه إية الفئ في

[١] - الفتح : ١٨ .
[٢] - الفتح : ٢٩ .

سورة الحشر فان الله جعل الفئ اولا للفقراء من المهاجرين وثانيا للذي يتبوأ الدار والإيمان وهم الأنصار وثالثا لمن جاء بعدهم محبا لهم مثنيا عليهم ، فقال جل وعلا . " **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا** [1] " فان ما يتناول اسم الذين آمنوا هم الصحابة ربنا انك رءوف رحيم " قال الإمام مالك بن انس من كان في قلبه غل للصحابة أو وجد عليهم بغضاء فلا ينال نصيباً من الفئ بهذه الآية .

إذا كان هذا الواجب عليهم فنمسك عن ما شجر بينهم . والنزاع والقتال سواء في أفراد المسائل في حياة النبي عليه الصلاة والسلام أو بعد موته أو ما جرى فى المحنه العظيمة لما قتل عثمان رضي الله عنه ، لا نخوض في هذه الأمور ولا نستفصل في ما جرى فى مجرياتها ؛ لان الاستفصال فيها والبحث فيها مدعاة إلى إيغار الصدور على بعضهم ، وهذا درب زلق يورث لصاحبه الغل والبغضاء الذي نص الله عز وجل على منع اهله منه ، ولهذا صار المنهج العام لأهل السنة فيما جرى بين الصحابة الكف عنه وعدم الخوض فيه لأمور ثلاثة : أولا : سلامه لألسنتنا وقلوبنا عما جرى بينهم .

ثانيا : لأننا لا نعلم التفاصيل للأسانيد الثقات والطرق الصحيحة عما جرى بينهم من الحيثيات .

ثالثا لئلا نخطئ بعضهم ونصوب بعضهم بغير علم محقق وبينة واضحة ، ونظم ذلك القحطانى لما قال :

دع ما جرى بين الصحابة في الوغى ... بسيوفهم لما التقى الخصان
فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم ... وكلاهما فى الحشر مرحومان
والله يوم الحشر ينزع كل ما ... تحوى صدورهم من الأضغان[2]

[1] – الحشر : ١٠ .

[2] – القصيدة لمحمد بن صالح القحطاني الأندلسي ، المتوفى سنة (٣٧٨) ، انظر : نونية القحطاني ، ص ٢٨ .

لأنهم أولى من يتناوله قول الله جل وعلا " وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ [١] "

ويل للقوم الذين سعوا إلى عثمان .. فاجتمعوا على الخذلان

ويل لمن قتل الحسين ورهطه ... فقد باء من مولاه بالخسران

أكرم بعائشة الرضا من حرة ... بِكر مطهرة الإزار حصان

أكرم بفاطمة البتول وزوجها ... ومن هما لمحمد سبطان غصنان

أصلهما بروضه احمد ... لله در الأصل والغصنان .

هذا هو المنهج العام ثم يتحقق المحققون الذين وقفوا على الروايات ومحصّوها ودرسوها فلهم في هذا شان غير الشأن الذي عليه عامه الناس ، ولهذا قال محققوا العلماء أولى الطوائف الثلاث الذين أمسكوا عن القتال ، وهم الصواب ، وهم الجمهور الأغلب من الصحابة .

وأولى الطائفتين المتقاتلتين علي ومن معه من غير إسفاف لمعاوية ومن معه ، وهم مجتهدون .

والسلامة على الدين والعرض واللسان ما قاله عمر بن عبد العزيز ودرج عليه السلف من بعده : " تلك أمور سلم الله منها سيوفنا فلنسلم منها ألسنتنا " . لكن المفتون صاحب القيل والقال المتطفل سيخوض فيها جرحا وتعديلا تصويبا وتخطئه ؛ لأنه قل عنده الإيمان ، وقل عنده العقل ، وقل عنده العمل ، فعوضه بالكلام الكثير الذي ليس تحته إلا مضرة دينه .والدلالة على جهله ونقص عقله ومرؤته .

الصَّلَاة وَرَاء الْأَئِمَّة وَالْجِهَاد مَعَهم وَالْحج

١٨ - وَلَا يتْرك حُضُور صَلَاة الْجُمُعَة وصلاتها مَعَ بر هَذِه الْأمة وفاجرها لَازم مَا كَانَ من الْبِدْعَة بريا ، فَإِن ابتدع ضلالا فَلَا صَلَاة خَلفه وَالْجِهَاد مَعَ كل إِمَام عدل أَو جَائِر وَالْحج .

هذه فيها ثلاث مسائل :

---

[١] - الأعراف : ٤٣ .

الأولى : إقامة الجمع والجماعات وأقامه الجماعات والجمع شعار أهل الإسلام ولهذا الآذان شعار أهل الإسلام لأنه المنادى للجمع والجماعات من ترك الجمع فهذا علامة على زيغه وبدعته ، سواء قال الجمعة : لا تقام ونصلي مكانها ظهرا بدعوى أنه لا يوجد إمام عادل أو معصوم نصلى وراءه . عطلوا هذه الشعيرة ، والنبي صلى الله عليه وسلم صلاها وأمر الناس أن يصلوها والله أمرنا بها " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ [١] " فلم يقل صلوها ظهرا بالإجماع ، تصلى ركعتان قبلهما خطبتان " ومن ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه [٢] " ، ومن ترك الجماعه فلم يصلها يساء به الظن ويؤدب بما يليق به .

والمسالة الثانية : نصلى هذه الجمع وراء كل بر وفاجر ، فإن الصحابة أقاموا الجمع والجماعات خلف ولاه الأمور وإن جاروا ، ولا يخفاكم صلاة ابن مسعود – رضي الله عنه – خلف الوليد ابن عقبه بن أبي معيط لما صلى بهم الفجر أربع ركعات لأنه كان مخموراً . فقال له بن مسعود ما زلنا معك اليوم فى زيادة [٣] .

فيصلى خلفه وإثمه عليه . هؤلاء أدوا ما عليهم .

الصلاة خلف المبتدع :

أما من كان مبتدعا فانه اختلف العلماء في الصلاة خلفه ، وفرقوا بين من بدعته مكفرة وبدعته مفسقة .

١–فإما من بدعته مكفرة فلا يصلى خلفه ، ولو صلى خلفه لأجل عدم الفتنة يعيد الصلاة .

٢–أما من بدعته مفسقة وهو الصلاة خلف المظهر للكبيرة ، ففرق فيها العلماء بين إمامين .

أ– إمام غير راتب فلا يصلى خلفه هجرا له .

---

[١] – الجمعة : ٩ .

[٢] – رواه أبوداود ، رقم (١٠٥٢) ؛ والترمذي ، رقم (٥٠٠) ؛ والنسائي ، رقم (١٣٦٩) ؛ وابن ماجه ، رقم (١١٢٥) ، وحسنه النووي ، خلاصة الأحكام ، رقم (٢٦٥١) ؛ وصححه ابن الملقن ، البدر المنير ، ٤ / ٥٨٣ .

[٣] – انظر : العقيدة الطحاوية ، ١ / ٣٦٦ .

ب– وإمام راتب فانه يصلى خلفه ما دام بدعته غير مكفرة ؛ لان الذي رتبه هو الإمام أو نائبه وإثمه عليه ووزره عليه ، واختلفوا هل إذا صلى خلفه يعيد أو لا يعيد ؟ قولان شهيران لأهل العلم .

إقامة الحج والجهاد مع ولي الأمر :

المسألة الثالثة : في إقامة الجهاد والحج خلف كل إمام بر وفاجر ما لم يكن كفره كفرا بواحا ، ينص العلماء على هاتين الشعيرتين الحج والجهاد ؟

الجواب : لأنهما عبادتان جماعيتان لا تأتيان إلا بانضباط وتنظيم وتأمين ولا يتأتى ذلك إلا بإمام واحد والحج مرة واحدة في العمر .

وإذا قال فاسق من الفسقة وفاجر من الفجرة اجعلوا الحج في رجب . ما يمكن ! الحج له يوم في السنة ، فعليه يتأتى الحج بتنظيم الإمام ، أولا برؤية الهلال ، وثبوت يوم عرفه فهي عباده جماعية ، لا تأتى إلا بإمام ، وكذا الجهاد في سبيل الله إذ لو كان فيه أكثر من إمام وأكثر من راية اضطرب الناس واختلفوا اختلافا كثيرا ، ثم يفشلوا .. وهذا الواقع فيما يدعى فيه الجهاد تتنوع فيه الرايات وتفترق فيه الوسائل والغايات فلا يكون فى سبيل الله وإنما يكون في سبيل الدنيا أو الرئاسة أو القبيلة أو الدولة أو الجمهورية أو الحزب أو الفئة المعينة ، والمقصود : فهما عبادتان جماعيتان تفتقران إلى ضبط وتنظيم فصار من شعار أهل السنة وأحولهم أن الحج والجهاد معهم .

قصر الصَّلَاة وَالِاخْتِيَار بَين الصّيام والإفطار فِي الْأَسْفَار :

١٩ – وإقصار الصَّلَاة فِي الْأَسْفَار وَالِاخْتِيَار فِيهِ بَين الصّيام والإفطار فِي الْأَسْفَار إِن شَاءَ صَامَ وَإِن شَاءَ أفطر

هذه من المسائل الفقهية التي لها تداخل في العقيدة من جهتين :١– لرد بعض أهل البدع لقصر صلاة السفر وجمعها . ٢– أن من الناس من يحرم القصر في السفر مع أنه قد جاءت به الشريعة ! أو يحرم الجمع بين الصلاتين ! وقد جاءت به السنة لا كما قد تنتحله بعض الطوائف والبدع . ٣– لتواتر الأدلة من السنة على شعيرة الجمع والقصر في السفر المباح والمشروع .

إقصار الصلاة في السفر رخصه الله إلى خلقه لو صلى الإنسان في سفره تاما يجوز ذلك ، ما لم يعتقد أن قصر الصلاة غير مشروع ؛ فان الاعتقاد أن قصر الصلاة في السفر غير مشروع بدعة وقول الله جل وعلا " وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا [1] " فإناطته هذا من باب الغالب وإلا الشأن في الضرب في الأرض .

أنواع السفر :

والضرب في الأرض أنواع ثلاثة : ١- ضرب مباح كسفر لتجارة ، أو لسياحة مباحة ، أو للتنزه ، وتقصر فيه الصلاة إذا كانت ثمانين كيلا فأكثر في أظهر الأقوال .

٢-وضرب في الأرض مشروع كالسفر لطلب العلم، وللحج وللعمرة ، وللجهاد ، و للصلة فتقصر فيه الصلاة .

٣- الثالث ضرب في الأرض المسمى بسفر المعصية وأظهر الأقوال أنه لا يصح الترخص فيه برخص السفر ، كمن يسافر ليخرج على جماعة المسلمين ، أو يسافر ليقاتل مع الخوارج ، أو يسافر ليزنى أو ليشرب الخمر هذا كله سفر معصية ، والشريعة لا تعين العاصي على معصيته . والاختيار فيه بين الفطر في الإسفار أن شاء صام وان شاء افطر . يشير رحمه الله إلى حديث **حمزة بن عمرو الأسلمي أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني رجل أسرد الصوم، فأصوم في السفر؟ قال: " صم إن شئت، وأفطر إن شئت [2] "**.

فان الفطر في السفر رخصه ، والصوم جائز أما من حيث الأفضلية فأصح ما يقال فيه أن الفطر في السفر إذا كان أرفق به ، وأرفق لرفقته ، فالفطر أفضل.

وان كان الصوم في السفر أرفق به وبرفقته فالصوم أفضل , هذا أفضل ما يقال ، وذهب بعض أهل العلم منهم شيخنا بن باز رحمه الله إلى أن الفطر في السفر

---

[1] – النساء : ١٠١ .

[2] – البخاري ، رقم (١٩٤٣) ؛ ومسلم ، رقم (١١٢١) ، واللفظ له .

الأفضل مطلقا لعموم ماجاء في الصحيحين " ليس من البر الصوم في السفر [1] " والأدلة الحقيقية تدل على القول الأول من انه مرعاه للإرفاق به والأرفق برفقته .وبسط الأدلة على ذلك في غير هذا الموضع ، وإنما ماسبق إشارة للخلاف وللقول الراجح والله أعلم .

اجْتِمَاع أَئِمَّة الْهدى الماضين على هَذِه المقالات

٢٠ – هَذِه مقالات وأفعال اجْتمع عَلَيْهَا الماضون الْأَولونَ من أَئِمَّة الْهدى ، وبتوفيق الله اعْتصمَ بهَا التابعون قدوة ورضى ، وجانبوا التَّكَلُّف فِيمَا كفوا ، فسددوا بعون الله ، ووفقوا لم يَرْغَبُوا عَن الِاتِّبَاع فيقصروا ، وَلم يُجَاوِزُوهُ تزيدا فيعتدوا ،فَنحْن بِاللَّه واثقون وَعَلِيهِ متوكلون وَإِلَيْهِ فِي اتِّبَاع آثَارهم راغبون .

هذه مقالات وأفعال اجتمع عليها الماضون ، يعنى ما ذكر من الجمل السابقة التي هي من السنة ، وهذه الجمل التي ذكرها مما أجمع عليه السلف ومضى عليه الماضون الأولون هم الصحابة كما دل عليه السياق في كلامه والتابعون بعدهم وعلماء الإسلام إلى زماننا ، وهذه الخصيصة والميزة لأهل السنة أن قولهم تتوافق مع قول سابقهم لا تجد عندهم اضطرابا ولا نزاعا ؛ بل هم على قول واحد من أولهم إلى آخرهم ، وهذه من أهم خصائص مذهب السلف الصالح أهل السنة والجماعة الذي تميزوا به عن أهل الأهواء والبدع والحمدالله ، بينما سائر أهل البدع يلعن أخرهم أولهم ، ويخالف أولهم آخرهم ، وهذا لا تجده عند أهل السنة ، ولهذا قال رحمه الله أجمع عليها الماضون .

مصادر تلقي العقيدة :

وفى هذا إشارة إلى أصل ، أن مصادر تلقى العقيدة هي ثلاثة : الكتاب والسنة والإجماع . فمصادر تلقى العقيدة : ١- الكتاب العزيز وهو القرآن ٢- والسنة

---

[1] – رواه البخاري ، رقم (١٩٤٦) ؛ ومسلم ، رقم (١١١٥) .

الصحيحة ٣- والإجماع المعتبر ، وهذا ما نص عليه شيخ الإسلام في الواسطية لما قال : الأصل الأول القرآن ثم قال : فصل والسنة تفسر القران وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه [١] ، ثم قال والأصل الثالث : الإجماع ، والإجماع الذي ينضبط ما كان عليه الصحابة والتابعون ، إذ بعدهم كثر الخلاف وانتشرت الأمة ، ولهذا صار الاعتقاد السلفي مجمع عليه .

أما ما يأتي في مسائل تفصيلية في الاعتقاد فقد يردها خلاف باعتبار الأدلة كما سبق في ذكر تفاصيلها ، ولا تخرم هذا الأصل بان أصل مسائل الاعتقاد مجمع عليها ، فالصحابة أسوة ؛ لان النبي عليه الصلاة والسلام جعلهم لنا كذلك ، ولأنهم مخاطبون أولا بالتنزيل " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا " فالخطاب لمن أولا ؟ قطعا للصحابة ، والتابعون الذين أخذوا عن الصحابة قدوة ، ولهذا من أصول الإمام مالك تقديم عمل أهل المدينة ؛ لأنهم ورثوه من الصحابة والتابعين عن عمل غيرهم . قدوة ورضا جانبوا التكلف ، ما التكلف ؟ هو التشدد والتقعر والتنطع ومن التكلف في أوضح صورة تقديم العقل على الآثار والنصوص .

وهذا منهج وخصيصه لأهل السنة أنهم لم يقدموا عقول الرجال على الآثار بل قال الإمام احمد في أصوله : أن الحديث الضعيف أحب إلى من آراء الرجال .وأظهر خصائص المعطلة والمرجئة من أهل الأهواء والبدع تقديم العقول على الوحي ؛ بل ويحكمون بالعقل على الشرع !

فيما كفوا فسددوا بعون الله ووفقوا لم يرغبوا عن الإتباع فيقصروا ولم يجانبوا ولم يجاوزوه عن الأثر تزيدا فيعتدوا فنحن بالله واثقون وعليه متوكلون واليه في إتباع أثارهم راغبون .

والآثار الدالة على ذلك كثيرة أعظمها قول الله جل وعلا فى آية النساء " وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا [٢] " وسبيل المؤمنين هو سبيل الصحابة الذين ورثه

[١] – شرح الواسطية لابن عثيمين ، ٢ / ٦ .

[٢] – النساء : ١١٥ .

التابعون من بعدهم . فجاءه الوعيد نولّه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا . وفى حديث الافتراق المشهور : " كلها في النار إلا واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي [1] " ، فالسلامة دينا ومنهجا وعقيدة هو لزوم هذا الطريق لأن مجانبته اتخاذ السبل التي تبعد عن هذا الصراط المستقيم وتوصل صاحبها إلى النار في الدنيا بالافتراق والتحزب ، وفى الآخرة إلى النار ، كما دل عليه حديث ابن مسعود [2] لما ضرب عليه الصلاة والسلام خطاً قال : هذا صراط الله وضرب عن جنباته خطوطاً ، قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا إليه من أجابه قذفوه في النار وقرأ قول الله في آخر الأنعام " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [3] " .

الْمُحَافظَة على أَدَاء الْفَرَائِض والرواتب وَاجْتنَاب الْمُحرمَات :

٢١- فَهَذَا شرح السّنة تحريت كشفها وأوضحتها ، فَمن وَفقه الله للْقِيَام بِمَا أبنته مَعَ معونته لَهُ بِالْقيامِ على أَدَاء فَرَائِضه بِالِاحْتِيَاطِ فِي النَّجَاسَات ، وإسباغ الطَّهَارَة على الطَّاعَات ، وَأَدَاء الصَّلَوَات على الاستطاعات ، وإيتاء الزَّكَاة على أهل الْجدَّات وَالْحج على أهل الْجدّة والاستطاعات ، وَصِيَام الشَّهْر لأهل الصحات ، وَخمْس صلوَات سنّهَا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم من بعد الصَّلَوَات : صَلَاة الْوتر فِي كل لَيْلَة ، وركعتي الْفجْر ، وَصَلَاة الْفطر ، والنحر ، وَصَلَاة كسوف الشَّمْس وَالْقَمَر إِذا نزل ، وَصَلَاة الاسْتِسْقَاء مَتى وَجب ، وَاجْتنَاب الْمَحَارِم والاحتراز من

---

[1] – رواه عن النبي عليه الصلاة والسلام ستة عشر صحابيا ، وقد أفردته ببحث خاص ، وهذا اللفظ رواه ابن ماجه ، رقم (٣٩٩٣) ، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٤ / ١٨٠) ، هذا إسناد صحيح رجاله ثقات .

[2] – رواه ابن ماجه ، رقم (١١) ، وصححه الحاكم ، رقم (١٨٠) ووافقه الذهبي ؛ وحسن اسناده شعيب الأرنؤوط ، صحيح ابن حبان ، ١ / ١٨٠ .

[3] – الأنعام : ١٥٣ .

النميمة وَالْكذب والغيبة وَالْبَغي بِغَيْر الْحق وَأَن يُقَال على الله مَا لَا يعلم كل هَذَا كَبَائِر محرمَات ،والتحري فِي المكاسب والمطاعم والمحارم والمشارب والملابس وَاجْتنَاب الشَّهَوَات فَإِنَّهَا دَاعِيَة لركوب الْمُحرمَات ، فَمن رعى حول الْحمى فَإِنَّهُ يُوشك أَن يواقع الْحمى .

شرح الإمام المزني ، وأوضح واكفى جزاه الله عنا وعنكم وعن المسلمين خير الجزاء . وفى هذه الجمل التي ذكرها دلاله أن العقيدة تبعث على المسابقة والمسارعة إلى أداء الفرائض والمجانبة والمباعدة عن المحرمات والمكروهات ، وهو رد على أهل الإرجاء قاطبة الذين أخلوا الإيمان عن هذه الشعائر والأعمال بطاعات تؤتى ، وفرائض تفعل ، ومحرمات تنتهي ومكروهات تجتنب .

أما أهل السنة ، العمل هو المعيار في الإيمان ؛ لا مجرد الدعوى .

وذكر جملة من هذه الأمور التي فيها أن أداء الفرائض يجنب صاحبه التهمة في دينه والتهمة في عرضه وفى عقيدته ، وفيه منحى آخر ، هو أن العقيدة عند أهل السنة – وفيهم الإمام المزني – تشمل السنة والشريعة والظاهر والباطن .

الفرق بين الكبائر والصغائر :

والكبائر والصغائر من المسائل التي اختلف فيها العلماء وهي من المسائل الفرعية أيضا فمنهم : ١- من قال أن الفرق بينهما لا يعرف ، مع أنه جاء في القرآن التفريق ، إية النساء " إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ [١] " ، "

[١] – النساء : ٣١ .

الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ [1] " فجاء التفريق . ٢- أصح ما يقال في الفرق بينهما : أن الكبيرة ما جمعت وصفا من الأوصاف السبعة وهي : ١- فكل ذنب رُتب عليه حدّ في الدنيا ، فكبيرة كشرب الخمر ٢- أو وعيد في الآخرة بالنار نحو : ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار [2]، ٣- أو وعيد باللعنة ، "لعن الله الراشي والمرتشي [3] ". ٤- أو وعيد بالغضب . " وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ [4] " ، ٥- أو نفى الإيمان عن صاحبه " والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قالوا من يا رسول الله خاب وخسر قال من لا يؤمن جارة بوائقه [5] " ، ٦- والسادسة أو تبرى منه" من حمل علينا السلاح فليس منا [6] " ، ٧- السابعة : وهذا أكثر ما وجدته في كلام السلف حتى ربما لم تجد عندهم في معنى الكبيرة إلا هذا الضابط هو : أن الكبيرة كل ذنب استهان به صاحبه ولم يبالي به ، واستهتر واستخف بشأنه فكانه باستهانته واستخفافه به يصيره عند الله كبيرا . قال ابن عباس رضي الله عنهما: " لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع الإصرار [7] " ، لأنه بإصراره على الصغيرة ارتفعت بهذا إلى الاستخفاف ، وعدم المبالاة وعدم الاهتمام لها أن تكون كبيرة . وهذا أكثر ما وجدته في كلام السلف عن الكبيرة فانه قد يأتي كبيرا فيحتف به من الخوف والوجل والقلق والاضطراب ما يصيّر هذا الكبير في حقه عند الله صغيرا والعكس صحيح .

---

[1] – النجم : ٣٢ .

[2] – رواه البخاري ، رقم (٥٧٨٧) .

[3] – رواه أبوداود ، رقم (٣٥٨٠) ؛ والترمذي ، رقم (١٣٣٦) ؛ وابن ماجة ، رقم (٢٣١٣) ، وحسنه البغوي في شرح السنة ، ٥ / ٣٣٠ ؛ وصحح اسناده العلامة أحمد شاكر ، تحقيق مسند أحمد ، ١١ / ٤٧ .

[4] – النور : ٧ .

[5] – رواه البخاري ، رقم (٦٠١٦) .

[6] – رواه البخاري ، رقم (٦٨٧٤) ؛ ومسلم ، رقم (٩٨) .

[7] – شرح أصول أهل السنة للآكائي ، رقم (١٩١٩) ، والإبانة لابن بطة ، ٢٩٧/٢ .

٢٢– فَمن يسر لهَذَا فَإِنَّهُ من الدّين على هدى ، وَمن الرَّحْمَة على رَجَاء، ووفقنا الله وَإِيَّاك إِلَى سَبيله الأقوم بمنه الجزيل الأقدم وجلاله الْعلي الأكرم وَالسَّلَام عَلَيْكُم وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاته وعَلى من قَرَأَ علينا السَّلَام وَلَا ينَال سَلام الله الضَّالّين وَالْحَمْد لله رب الْعَالمين .

نجزت الرسَالَة بِحَمْد الله وَمِنْه وصلواته على مُحَمَّد وَآله وَأَصْحَابه وأزواجه الطاهرات وَسلم كثيرا كثيرا .

يقرر رحمه الله : أن من يسّر لهذا الاعتقاد الحق المبنى على الأدلة ، وعلى مواردها مما ذكره من علماء أهل السنة ، وإن اختلفت مذاهبهم الفرعية لكن جادتهم واحده في العقيدة ، فانه من الدين على هدىً أي على بينة ، فالهدى ما كان من هداية الله له بالكتاب والسنة ومن الرحمة رحمة الله على رجاء ، يرجو أن تناله رحمة الله ، ولو حصل منه القصير وكلنا ذلك المقصر ، فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون . وفي الحديث يقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم [١] ". ثم قال : وفقنا الله وإياك . إياك إشارة إلى السائل : محمد بن عبد الله الحلوانى الذي أرسل إلى المزنى رحمه الله من طرابلس لما وقع عندهم الغم والاضطراب . **إلى سبيله الأقوم بمنه الجزيل الأقدم** ، لان كل هداية فهي منّةٌ امتن الله بها على عبيده . فما أعظم منن الله علينا ؟ أن جعلنا مؤمنين هذه أعظم المنن ولم يجعلنا كافرين ، قالوا يليها منّةٌ أخرى : أن بعث إلينا محمد عليه الصلاة والسلام . لو بعث الله لنا جبريل ؟ فما نعرفه ولانرغب منه !..

[١] – رواه مسلم ، رقم (٢٧٤٩) .

لكان مشقة كبيرة علينا ، ولكنه بعث لنا رسولا . " لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ [1] " ثم سلم على السائل وعلى من قرأ علينا السلام .

وعليه السلام الله ورحمته وبركاته .

ولا ينال سلام الله الضالين هنا أجراها على الحكاية ؛ وإلا الضالون هو الأسلم في السياق ، أو إذا قلنا ولا ينال سلامُ الله على أن سلام هو الفاعل والضالين المنالون بهذا السلام . والحمد لله رب العالمين ، لان الله جل وعلى قال في آخر الصافات " سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [2] " . فحمد نفسه ، وسلم على الرسل لسلامة ما قالوه في حقه تعالى من النقض والعيب ، والحمد لله رب العالمين . ولذا روى ابن أبي حاتم " إذا سلمتم علي فسلموا على الأنبياء والمرسلين فإنما أنا رسول من المرسلين [3] " فرحمه الله وجزاه عنا خير الجزاء وبارك فيكم والحمد الله الذي تتم بنعمته الصالحات .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

[1] – آل عمران : ١٦٤ .

[2] – الصافات : ١٨١ .

[3] – رواه أبن أبي حاتم في تفسيره ، ٣٢٣٤/١٠ ؛ وأبونعيم الأصبهاني ، تاريخ أصبهان ، ١ / ١٤٩ . وحسن إسناده ابن حجر ، الفتوحات الربانية ، ٣ / ٣٣٨ ؛ والسخاوي ، القول البديع ، ص ٧٩ . وقد خرجته تخريجا طويلا بتكليف من سماحة شيخنا عبدالعزيز بن باز رحمه الله ، دارسا إسناده ، قارئا للبحث عليه ، وخلاصته أنه حديث إسناده جيد ، وقد أقره شيخنا رحمه الله .

فهرس المحتويات